منهج الدعوة الإسلامية
في خطاب المدعوين بالمنهج العقلي

إعـــــداد

دكتور / علي صديق عبدالعال محمد

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين بأسيوط

- e-mail: alysadek٥٦١٩٦٩@gmail.com

(ملخص البحث)

من ضروريات العمل الدعوي استخدام المنهج العقلي في خطاب المدعوين على اختلاف أصنافهم ومستوياتهم الفكرية والاجتماعية، ليكون البلاغ تاما غير منقوص مع مراعاة الانضباط بالقواعد الشرعية المجمع عليها من علماء الأمة الراسخون في العلم.

ويتميز المنهج العقلي المستخدم في خطاب المدعوين بالوضوح والقوة الاستدلالية على القضايا والموضوعات التي يتناولها لأنه يعتمد على المصدرين الأساسيين في استنباط الأحكام الشرعية أو التدليل على القضايا العقدية والأخلاقية، هذان المصدران هما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

المنهج العقلي يخاطب اهم أصناف المدعوين وهم على حسب ورودهم في مضمون البحث كما يأتي:

١. خطاب المشركين.
٢. خطاب أهل الكتاب.
٣. خطاب المنافقين.
٤. خطاب الملأ.

- **الكلمات المفتاحية**

(منهج – دعوة – خطاب –المنهج العقلي – أصناف المدعوين)

(Research Summary)

Among the necessities of advocacy work is the use of the rational approach in the speech of the invitees of different types and intellectual and social levels, so that the communication is complete and undiminished, taking into account the discipline of the legal rules agreed upon by the scholars of the nation firmly rooted in science.

The rational approach used in the speech of the invitees is characterized by clarity and deductive power on the issues and topics it deals with because it depends on the two main sources in deriving legal rulings or demonstrating doctrinal and ethical issues, these two sources are the Noble Qur'an and the honorable Sunnah of the Prophet.

The rational approach addresses the most important types of invitees, according to their arrival in the content of the research, as follows:

١. Speech of the polytheists
٢. The speech of the People of the Book
٣. The speech of the hypocrites
٤. Public speech

Key words

(Approach - invitation - discourse - mental approach - types of invitees)

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

(المقدمة)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه, ونستغفره ,ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ,وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلي الله عليه وسلم .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٢

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ النساء: ١

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ الأحزاب: ٧٠ - ٧١

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد صلي الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين.

إن الدعوة إلي الله تعالي هي رسالة الله – تعالى –التي حملتها الملائكة الأطهار وسلمتها للمصطفين الأخيار ممن اصطفاهم رب العباد سبحانه وتعالي من بني آدم، فقد أصطفي الله تعالي حامل الرسالة ومستلمها بقوله :

﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ الحج: ٧٥

ولأن الرسلة كلام الله، وكلامه مقدس، فلا يحمله إلا الأطهار، ولأن كل هو رحمة وهدي وبشري للمؤمنين.

فأمر الله الأنبياء بتبليغ الرسالة بعد حملها إلي أقوامهم وأممهم فقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾ إبراهيم: ٤

هذا في الأمم التي خلت والأنبياء الذين سلفوا، وقد شهدنا أنهم بلغوا، وأنذروا وبشروا، فمن آمن بربه واتبع منهج رسالاته وصدق بها، كان من الناجين الفائزين، وأما من عصي، وضل وغوي، فكانت معيشته ضنكا، ولحقة عذاب الآخرة والأولي.

وأما رسالة الإسلام الحاملة للدين القيم الخاتم، والموجة إلي الناس كآفة فقال الله عنها وعمن نزل بها، وعمن نزلت عليه قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ الشعراء: ١٩٢ –١٩٥

وتبليغ الدعوة الإسلامية أمر من الله تعالي والأمر يقتضي الوجوب حيث قال الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم آ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ المائدة: ٦٧

والتبليغ يكون بوسائل ومناهج وضوابط فقال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ النحل: ١٢٥

وأمر ورثة الأنبياء وهم العلماء الدعاة الربانيين أن يسيروا على منهج الرسول المعصوم الكريم فقال تعالى ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ يوسف: ١٠٨

ولأن مناهج الدعوة في خطاب المدعوين متعددة ومتشعبة، فمن أبرزها المنهج العقلي، والمنهج الحسي، والمنهج العاطفي، ويتفرع ويتشعب منهما العديد من المناهج الأخرى التي تعتمد عليها.

ولأن المنهج العقلي له دور كبير في تبليغ الدعوة الإسلامية، وله تأثير قوي في إقناع المخاطبين بأن الإسلام ورسالته –عقيدة وشريعة وأخلاق _ هي الحق المبين، –وماذا بعد الحق إلا الضلال – فقد قمت بإعداد هذا البحث الذي جاء تحت عنوان: (منهج الدعوة الإسلامية في خطاب المدعوين بالمنهج العقلي)

وقد اشتمل هذا البحث على مقدمة، وتمهيد ومبحثين.

أما المقدمة فاشتملت على: أهمية تبليغ الدعوة الإسلامية بالمنهج العقلي،

وأما سبب اختياري للموضوع: فالحاجة الماسة لبيان الأسس العلمية في استخدام المنهج العقلي وطرق توصيل الدعوة للمخاطبين كما جاء في كتاب الله تعالى وطبقة الأنبياء الكرام عليهم السلام، وكما أرشدنا سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم إلي المنهج القويم في تبليغ الدعوة الإسلامية.

وأما بيان منهجي في البحث: تقوم الدراسة على منهجين:

الأول: المنهج الاستقرائي ويكون بتتبع الموضوع واستقرائه في مظانه وجمع المعلومات المتعلقة به.

الثاني: المنهج الاستدلالي ويكون بالتدليل على كل ما أطرحه من أفكار أو آراء بالنصوص الشرعية من الكتاب والسنة أو بأقوال أهل العلم الثقات.

واما خطة البحث:

وخطة هذا البحث انتظمت في مقدمة، وتمهيد ومبحثين، وخاتمة.

أولا :المقدمة :واشتملت على الأمور التالية:

١- أسباب اختيار الموضوع.

٢- منهج البحث.

٣- خطة البحث.

ثانيا: التمهيد: يشتمل التمهيد على التعريف بالمصطلحات الأساسية في عنوان البحث، وهي كالتالي:

١- منهج في اللغة والاصطلاح

٢- الدعوة في اللغة والاصطلاح

٣- خطاب في اللغة والاصطلاح

٤- المدعوون في اللغة والاصطلاح

ثالثا: المباحث: وبيانها كالتالي:

المبحث الأول: المنهج العقلي

ويشتمل هذا المبحث على المطالب الآتية:

المطلب الأول: تعريف العقل في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: مفهوم العقل في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: مفهوم العقل في السنة البوية.

المطلب الرابع: مفهوم العقل عند بعض علماء المسلمين.

المطلب الخامس: تعريف المنهج العقلي للدَّعوة إلى الله تعالي.

المطلب السادس: أهم أساليب المنهج العقلي.

المبحث الثاني: استخدام المنهج العقلي في خطاب أهم أصناف المدعوين.

يشتمل هذا المبحث على المطالب الأتية:

المطلب الأول: خطاب المشركين.

المطلب الثاني: خطاب أهل الكتاب.

المطلب الثالث: خطاب المنافقين.

المطلب الرابع: خطاب الملأ.

رابعا: الأمانة العلمية في نقل المعلومات والأقوال والأدلة من المصادر والمراجع، والاعتماد في نقل المعلومات على المراجع والمصادر المعتمدة.

خامسا: إذا نقلت المعلومات من المراجع بالنص جعلتها بين علامتي تنصيص تمييزا لها.

سادسا: التعريف بما يحتاج إلى تعريف من مفردات غامضة، وكل ذلك في الهامش.

سابعا: مراعاة قواعد اللغة في كتابة البحث.

ثامنا: عزو الآيات الواردة في البحث إلى السور وبيان أرقامها. (نسخ من المصحف الشريف بالرسم العثماني).

تاسعا: تخريج الأحاديث والآثار من كتب السنة المعتمدة.

عاشرا: الترجمة للأعلام الواردة في البحث عند الحاجة إلى ذلك بشيء من الاختصار.

حادي عشر: الخاتمة: وتضمن أهم النتائج والتوصيات.

ثاني عشر: قائمة المصادر والمراجع.

ثالث عشر: فهرس الموضوعات.

التمهيد

تعريف المصطلحات الأتية

١- منهج في اللغة والاصطلاح.

٢- الدعوة في اللغة والاصطلاح.

٣- خطاب في اللغة والاصطلاح.

٤- المدعوون في اللغة والاصطلاح.

١- *تعريف المنهج في اللغة والاصطلاح:*

أ: تعريف المنهج في اللغة:

بالنظر في قواميس اللغة لكلمة (منهج) نجد أنها تدل على الطريق الواضح المستقيم.

قال ابن فارس: (النون والهاء والجيم أصلان متباين الأول: النهج: الطريق، ونهج لي الأمر: أوضحه وهو مستقيم المنهاج. . .) (١)

وقال في الصحاح: ((نهج) النَهْجُ: الطريق الواضح، وكذلك المَنْهَجُ والمِنْهاجُ. وأَنْهَجَ الطريقُ، أي استبانَ وصار نَهْجاً واضحاً بَيِّناً .قال يزيد بن الخذاق العبدى :ولقد أضاَء لك الطريقُ وأَنْهَجَتْ سُبُلُ المَسالِكِ)والهُدى تُعْدي أي تُعين وتقوّي. ونَهَجْتُ الطريق، إذا أبنته وأوضحته .يقال :اعمل على ما نَهَجْتُهُ لك. ونَهَجْتُ الطريق أيضاً، إذا سلكته. وفلان يَسْتَنْهِجُ سَبيلَ فلان، أي يسلك مسلكَهُ.).(٢)

ومن خلال الاستقراء في المناهج عامة نجد أنها قسمان :صحيحة وفاسدة، والذي يهمنا هنا الأول وهو المنهج الذي يتخذ من الكتاب والسنة أصولا يعتمد عليها.

ب-تعريف المنهج في الاصطلاح:

---

(١) **معجم مقاييس اللغة ٥/ ٣٦١**

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية فصل النون [نهج] ج:١ ص:٣٤٦، انظر القاموس المحيط: ١/٢١٩، لسان العرب: ١٠/٣٧٩، مختار الصحاح، ص ٢٨١، العجم الوسيط: ٢/ ٩٩٠

وللمنهج ثمة تعريفات في عرف باحثيه، وهي وإن اختلفت صياغة واسلوبه إلا أنها تكاد تتفق معنى ومضمونا، ومن هذه التعريفات

١- إن المنهج، أو المنهاج تعني: -الطريق الموصل بصحيح النظر فيه إلى المطلوب، أو هو مجموعة الإجراءات التي ينبغي اتخاذها بترتيب معين لبلوغ هدف معين، ومنهج العمل يرادف برنامج العمل (١)

٢- سبيل تقصي الحقائق العلمية وإذاعتها بين الناس (٢)

٣- البرنامج الذي يحدد لنا السيل للوصول إلى الحقيقة [٣]

٢- الدعوة في اللغة والاصطلاح

أ-*الدعوة في اللغة:*

ب- *معنى كلمة دعوة في اللغة*: لها عدة معاني، منها (٤)

١-النداء، مثال: دعوت الرجل، أي: ناديته.

٢-الحث على قصير شيء ما، مثال: دعوت إلى إفطار.

٣-الدعوة إلى أمر يراد إثباته أو الدفاع عنه سواء أكان حقا أم باطل، مثال: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ ﴾ غافر: ٤١

٤ -المحاولة القولية أو الفعلية لإمالة الناس إلى مذهب أو ملة.

٥-الابتهال والسؤال، مثال: دعوت الله أن يغفر لي.

ت-*الدعوة في الاصطلاح:*

في مجال الحديث عن الدعوة الإسلامية يتحتم تحديد المفهوم من هذا الاصطلاح لكثرة بريق الشعارات والاصطلاحات في العصر الحديث، إن المواجهة للإسلام وإن غيرها، حتى

(١) عبد المنعم حفني المعجم الفلسفي، ص٨٤٥ الناشر مكتبة مدبولي ط الثالثة ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠

(٢) غازي حسين عناية، منهاج البحث العلمي في الإسلام، ص٧٩ الناشر: دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٠بيروت -لبنان

(٣) د. رشدي فكار، لمحات عن منهجية الحوار والتحدي الإعجازي للإسلام في هذا العصر، ، ص ٧ وما بعدها – ط الأولي مكتبة وهبة ١٤٠٢ هـ – ١٩٨١ م القاهرة

(٤) انظر، لسان العرب لابن منظور، مادة "دعا" وكذا المعجم الوسيط، نفس المادة.

يتميز جانب الدعوة الإسلامية عن كل ما يغايرها، سواء كان ذلك الغير ملتقيا معها أو كان مخالفا لها.

والدعوة الإسلامية في التصور العادي البسيط ليست مبادئ بيئة خاصة، وليست ظاهرة اجتماعية لظروف خاصة، ولا هي مثل عليا فقط لجماعة مثالية من البشر.

ولا هي دعوة مادية لإيواء المشردين، وإشباع الجائعين، وكساء العرايا، وإنما هي شيء غير ذلك نعالجه في هذه المحاولة مع بعض المشتغلين بها بحثا ومعملا. (١)

"أ" مع فضيلة الشيخ علي محفوظ:

في كتاب "هداية المرشدين" تحت عنوان "مفهوم الدعوة" قال الشيخ رحمه الله تعالى:

"إن الدعوة إلى الله حياة الأديان، وأنه ما قام دين من الأديان ولا انتشر مذهب من المذاهب، ولا ثبت مبدأ من المبادئ إلا بالدعوة. وما تداعت أركان ملة بعد قيامها ولا درست رسوم طريقة بعد ارتفاع أعلامها، ولا تلاشت نزعة من النزعات بعد إحكامها إلا بترك الدعوة، فالدعوة حياة كل أمر عام تدعى إليه الأمم والشعوب، سواء أكان الأمر حقا أم باطلا"(٢).

وفي التعريف التالي حاول فضيلة الشيخ علي محفوظ –رحمه الله تعالى–أن يضع مفهوما لاصطلاح الدعوة الإسلامية بأنها :الحث على الخير والهدى فقال:

" حث الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل"(٣)

فأعطانا بهذه المحاولة –في أقل تقدير–أن عملية الدعوة ليست هي الدين نفسه بل هي إيجاد الدين كسلوك واقعي محسوس.

وهذا هو الذي يبدو في تصور مفهوم الدعوة الإسلامية. (٤)

٣- *خطاب في اللغة والاصطلاح:*

أ- *خطاب في اللغة:*

(١) رؤوف شلبي الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها –ص ٢١

(٢) علي محفوظ هداية المرشدين ص١٤.

(٣) المرجع السابق ص ١٧

(٤) رؤوف شلبي الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها –ص ٢٢

الخطاب أحد مصدري الفعل (خاطب، يخاطب) والمصدر الآخر مخاطبة، وهو يدل على توجيه الكلام لمن يفهم، وقد نقل من الدلالة على الحدث المجرد من الزمن إلى الدلالة على الاسمية. والخطاب يعني مراجعة الكلام، او المواجهة بالكلام , وعلى المستوى الدلالي فالخطاب يعني كلاما او رسالة او محاضرة او نص ما ، وعندما ننظر إلي الكلمة في معاجم اللغة العربية نجدها جاءت كالتالي :

خطب :الخَطْبُ: الشَّأْنُ أَو الأَمْرُ، صَغُر أَو عَظُم؛ وَقِيلَ :هُوَ سَبَبُ الأَمْر .يُقَالُ :مَا خَطْبُك؟ أَي مَا أَمرُكَ؟ وَتَقُولُ :هَذَا خَطْبٌ جليلٌ، وخَطْبٌ يَسير .والخَطْبُ :الأَمر الَّذِي تَقَع فِيهِ المخاطَبة، والشأْنُ والحالُ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ :جَلَّ الخَطْبُ أَي عَظُم الأَمرُ والشأْن. وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ، وَقَدْ أَفْطَروا فِي يومٍ غيمٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَقَالَ :الخَطْبُ يَسيرٌ. () وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ ﴿ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ الذاريات: ٣١ وَجَمْعُهُ خُطُوبٌ؛ (١)

وجاءت مادة خطب في عدة مواضع من القرآن الكريم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾

الفرقان: 63.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

هود:37

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ المؤمنون: ٢٧

و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ الذاريات:31

وقال يعالى : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾ ص: ٢٠

(١) –لسان العرب ٣٦٠/١ –فصل الخاء المعجمة.

وقَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ ﴾ ص: و قَالَ تَعَالَى:﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ النبأ: ٣٧

الخطاب في الاصطلاح:

وبالعودة إلى السياق الذي ورد فيه مصطلح الخطاب في القرآن الكريم نجده يحيل على الكلام وهذا ما تؤكده تفسيرات القدماء والمحدثين للآيات:

فالزمخشري يورد تفسيرا لقوله تعالى وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب يقول: " البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه "(١)

وفصل الخطاب: "فصل الخصام بالتمييز بين الحق والباطل أو الكلام الفاصل بين الصواب والخطأ "(٢)

ويرى (الزمخشري) أنه يجوز أن يراد بمعنى الخطاب في الآية "القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا إشباع ممل "(٣)

أما الآمدي فيعرف الخطاب بأنه " اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه"(٤)

المدعوون في اللغة والاصطلاح:

تعريف المدعو في اللغة:

إن كلمة (المدعو)، مشتقة من دعاه يدعوه، فهو مدعو (٥). إذن فهو اسم مفعول، مشتق من أصل الكلمة (دعا).

تعريف المدعو في الاصطلاح:

---

(١) الزمخشري، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التاويل ٤/٨٠

(٢) السابق ٤/٨٠

(٣) السابق ٤/٨٠

(٤) الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، ١ ص ٩٥

(٥) محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (٣٧/ ٦٩): ط ال ثانية١٤٠٧ هـ -١٩٨٧ م، الكويت

"الإنسان، أيّ إنسان كان، هو المدعو إلى الله تعالى؛ لأنَّ الإسلام رسالة الله الخالدة، بعث الله به محمدًا –صلى الله عليه وسلم– إلى الناس أجمعين، قال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} ، وقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} ، وهذا العموم بالنسبة للمدعوين لا يستثنى منه أيّ إنسان مخاطب بالإسلام ومكلَّف بقبوله والإذعان له، وهو البالغ العاقل مهما كان جنسه ونوعه ولونه ومهنته وإقليمه، وكونه ذكرًا أو أنثى، إلى غير ذلك من الفروق بين البشر، ولذلك كان مِمَّن آمن بمحمد –صلى الله عليه وسلم– العربيّ كأبي بكر، والحبشي كبلال، والرومي كصهيب، والفارسي كسلمان، والمرأة كخديجة، والصبي كعلي بن أبي طالب، والغني كعثمان بن عفان، والفقير كعمَّار "(١)

" وعلى هذا فالدَّعوة إلى الله عامَّة لجميع البشر، وليست خاصَّة بجنس دون جنس، أو طبقة دون طبقة، أو فئة دون فئة، ولهذا يخاطب القرآن البشر بصفتهم الآدمية، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُم} ، {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} ، وعلى الداعي أن يفقه عموم دعوته إلى الله، ويحرص على إيصالها لكلِّ إنسان يستطيع الوصول إليه، وهذا لا يناقض ابتداءَ الداعي بالأقربين إليه، فيدعوهم قبل البعيدين؛ لأنَّ لكل إنسان الحق في إيصال الدعوة إليه، فليس الأبعد بأولى من الأقرب، بل الأقرب أولى لسهولة تبليغه واحتمال صيرورته داعيًا أيضًا بعد إسلامه، فيسهل إيصال الدعوة إلى البعيدين، ولهذا جاء في القرآن الكريم: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} ، وهذا وإن كان خطابًا لرسول الله –صلى الله عليه وسلم، ولكنه يشتمل معناه الدعاة إلى الله، فعليهم أن ينذروا الأقربين إليهم، مبتدئين بأفراد أسرهم وأقاربهم ومن يعرفونهم، بل إنَّ دعوة الأهل وأفراد الأسرة أوجب من غيرهم؛ لأنَّ الداعي إن كان ربَّ أسرة فإنَّه مسئول عنهم، "كلكم راعٍ ومسئول عن رعيته"، وهذه المسئولية تشمل القيام بشئونهم المادية من توفير الطعام والشراب والسكن، ونحو ذلك من الأشياء المادية، كما تشمل شئونهم الدينية، بتعليمهم ما يلزمهم من أمور الإسلام ودعوتهم إليه.

قال تعالى مثنيًا على أحد رسله الكرام: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾ مريم: ٥٥، وقال تعالى: قَالَ تَعَالَى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا

(١) د عبد الكريم زيدان / أصول الدعوة (٣٧٣)

ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾

التحريم: ٦ ووقايتهم من النار تكون بدعوتهم إلى الإسلام وطاعة أوامر الله وترك نواهيه."[١]

(١) أصول الدعوة (٣٧٤)

المبحث الأول: المنهج العقلي

ويشتمل هذا المبحث على المطالب الآتية :

المطلب الأول: تعريف العقل في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: مفهوم العقل في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: مفهوم العقل في السنة البوية.

المطلب الرابع: مفهوم العقل عند بعض علماء المسلمين.

المطلب الخامس: تعريف المنهج العقلي للدَّعوة إلى الله تعالي.

المطلب السادس: أهم أساليب المنهج العقلي.

المطلب الأول: تعريف العقل في اللغة والاصطلاح

العقل في اللغة:

العقل من الجوانب الحيوية في الكائن الإنساني وهو الذي به تميز الإنسان عن جميع المخلوقات التي خلقها الله تعالى، وقد جاءت تعريفات العقل في المعاجم اللغوية بمعانٍ عدة على النحو التالي:

فقد جاء في لسان العرب بهذه المعاني: "العقل: الحجرُ والنهي ضد الحمقِ، والجمعُ عقولٌ. وعَقَلَ، فهو عاقلٌ وعقولٌ من قوم عقلاء. والعقل: التثبتُ في الأمورِ. والعقلُ: القلبُ، والقلبُ العقلُ، وسمي العقلُ عقلًا: لأنه يعقلُ صاحبَه عن التورطِ في المهالِك أي يحبسهُ. وقيل: العقلُ هو التمييزُ الذي به يتميزُ الإنسانُ من سائرِ الحيوانِ "(١)

ومن معاني العقل في اللغة يقول الزبيدي " والعَقْل: الدِّيَةُ، وَقد عَقَلَه: إِذا وَدَاه، كَمَا تقدّم، وَمِنْه الحَدِيث: العَقلُ على المُسلِمينَ عامَّةً، وَلَا يُترَكُ فِي الإِسلامِ مُفْرَجٌ، قَالَ الأَصْمَعِيّ: وإِنّما سُمِّيَتْ بذلك لأَنّ الإِبلَ كَانَت تُعْقَلُ بفناءِ ولِيِّ المَقْتول، ثمّ كَثُرَ استعمالُهم هَذَا اللفظُ حَتَّى قَالُوا: عَقَلْتُ المَقْتولَ: إِذا أَعْطَيتَ دِيَتَه دَراهِمَ أَو دَنانير"(٢)

ومن معاني العقل في اللغة: الحبس، قال ابن فارس "(عقل) العين والقاف واللام أصل واحد منقاس مطرد، يدل عُظمُه على حُبسةٍ في الشيء أو ما يقارب الحبسة. ومن ذلك العقل، وهو الحابس عن ذميم القول والفعل"(٣)

ومن معاني العقل: " العقل: نقيض الجهل، يقال عقل يعقل عقلا، إذا عرف ما كان يجهله قبل، أو انزجر عما كان يفعله. وجمعه عقول. ورجل عاقل وقوم عقلاء. وعاقلون. ورجل عقول، إذا كان حسن الفهم وافر العقل"(٤)

ومن معاني العقل: الحجر والنهي، "العقل الحجر والنهى ضد الحمق والجمع عقول :(٥)

---

(١) ابن منظور. لسان العرب. ١١/ ٤٥٨ – ٤٥٩.

(٢) الزبيدي، تاج العروس – مادة –عقل –٣٠/ ٢٤

(٣) ابن فارس أبو الحسين أحمد. معجم مقاييس اللغة ج٤، ص٦٩. ، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ، (دار الفكر، الطبعة: ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م)

(٤) المرجع السابق ٦٩/٤

(٥) ابن منظور: ج١١، ص٤٥٨.

تعريف العقل في الاصطلاح:

التعريف العام "العقل هو مجموعة من القوى الإدراكية التي تتضمن الوعي، المعرفة، التفكير، الحكم، اللغة والذاكرة. هو غالبًا ما يعرف بملكة الشخص الفكرية والإدراكية. يملك العقل القدرة على التخيل، التمييز، والتقدير، وهو مسؤول عن معالجة المشاعر والانفعالات، مؤديًا إلى مواقف وأفعال. هنالك جدال في الفلسفة، الدين، والعلوم الاستعرافية حول ماهية العقل وصفاته المميزة (١)"

وقد عرف العلماء العقل بتعريفات كثيرة منها: أنه الروح أو القلب أو الإنسان الذي يميز بين الخطأ والصواب، أو هو الفطرة التي يكتسب بها المعارف والعلوم، ومما جاء من تعريفات العلماء للعقل فالمختار هو أن يقال: العقل يقع بالاستعمال على أربعة معان (٢) توجزها فما يأتي:

: الغريزة المدركة، والعلوم الضرورية، والعلوم النظرية، والعمل بمقتضى العلم.

الأول: الغريزة التي في الإنسان، فيها يعلم ويعقل، وهي كقوة البصر في العين، والذوق في اللسان، فهي شرط في المعقولات والمعلومات، وهي مناط التكليف، وبها يمتاز الإنسان عن سائر الحيوان.[٣]

الثاني: العلوم الضرورية وهي التي تشمل جميع العقلاء، كالعلم بالممكنات، والواجبات، والممتنعات. والفلاسفة والمتكلمون عرفوا العقل بها، ومنهم –كالباجي –من قسمها إلى قسمين: قسم يقع في الناس ابتداء، والآخر يحصل بالاكتساب، وخصوا العقل بالقسم الاول.

الثالث: العلوم النظرية، وهي التي تحصل بالنظر والاستدلال، وتفاوت الناس وتفاضلهم فيها أمر جلي وواقع.

الرابع: الأعمال التي تكون بموجب العلم [ولهذا قال الأصمعي: «العقل: الإمساك عن القبيح، وقصر النفس وحبسها على الحسن» (١).

---

(١) mind – definition of mind in English | Oxford Dictionaries". Oxford شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة English Dictionaries | .
تعريف العقل باللغة الإنجليزية | ". قواميس أكسفورد | الإنجليزية. مؤرشف من الأصل في ٠٧ أبريل ٢٠١٩.

(٢) انظر: إحياء علوم الدين لأبي حامد بن محمد الغزالي ٨٥/١-٨٦ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٢٨٧/٩ ، ٣٠٥ ، ٣٣٦/١٦ والذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ص : ٩٣ والفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ٢٠/٢ .

٣

المطلب الثاني: مفهوم العقل في القرآن الكريم

وقد وردت الآيات القرآنية التي فيها "مادة عقل"، "بصيغة فعل المضارع على سبيل الاستفهام" أفلا تعقلون "أو الترجي" لعلكم تعقلون "أو التقرير" لقوم يعقلون "أو النفي" لا يعقلون.

كما أن هناك مرادفاتٍ للعقل في القرآن مثل: "أولي الألباب" و"أولي النهى". . . الخ. والآيات التي وردت بهذه الصيغ لطرح مختلف القضايا والأحكام التي يحتاجها الإنسان في حياته، ويطالب فيها بتحكيم العقل للوصول إلى الحكمة من تشريعها، حتى لا تغلب عليه الشهوة أو الهوى أو الشيطان.

(٢) قال الله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ الأنعام: ١٥١

المطلب الثالث : مفهوم العقل في السنة النبوية :

وردت أحاديث نبوية في العقل وفضله، منها:

١- قوله –صلى الله عليه وسلم –: "رُفِعَ القلمُ عن ثلاثةٍ: عن النائمِ حتى يستيقظ، وعن الصبيِ حتى يشبَ، وعن المعتوهِ حتى يعقلَ "(٣)

٢- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ". فَقُلْنَ: وَبِمَ

() ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ) المخصص ١/ ٢٥٠ المحقق: خليل إبراهم جفالالناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت
الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م

(٢) محمد، علي. لجوزو، مفهوم العقل والقلب في القرآن والسُنَة. ص ٥٥. ، دار العلم للملايين بيروت ، الطبعة الأولى، ١٩٨٠ م،

(٣) اخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١ / ٣٥٥) برقم: (١٤٢) (كتاب الإيمان، ذكر الإخبار عن العلة التي من أجلها إذا عدمت رفعت الأقلام عن الناس في كتبة الشيء عليهم) والحاكم في "مستدركه" (٢ / ٥٩) برقم: (٢٣٦٣) (كتاب البيوع، الرهن محلوب ومركوب) والنسائي في "المجتبى" (١ / ٦٧٧)

يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ". قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟" قُلْنَ: بَلَى. قَالَ: فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟" قُلْنَ: بَلَى. قَالَ: فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا "(١).

٣- عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى مِنْبَرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ، وَهِيَ مِنْ خَمْسَةٍ: مِنَ الْعِنَبِ، وَالتَّمْرِ، وَالْعَسَلِ، وَالْحِنْطَةِ، وَالشَّعِيرِ، وَالْخَمْرُ مَا خَامَرَ الْعَقْلَ. "(٢)

المطلب الرابع : مفهوم العقل عند بعض علماء المسلمين :

بيَّن ابن الجوزي أن هناك اختلافًا بين العلماء في تحديد ماهية العقل، فقال: "اختلف الناس في ماهية العقل اختلافًا كثيرًا"(٣) وقد حدده ابن الجوزي في معانٍ عدة مجملةٍ في قوله: "العقل يُطْلَق بالاشتراك على أربعة معانٍ أولها الوصف الذي يفارق به الإنسان البهائم وهو الذي به استعد لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية، وهو الذي أراده من قال هو غريزة وكأنه نور يُقذف في القلب يُستعدُّ به لإدراك الأشياء.

والثاني: ما وضع في الطباع من العلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات. والثالث: علوم تستفاد من التجارب تسمى عقلًا. والرابع: أن منتهى قوّته الغريزية إلى أن تقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة"(٤) وقوله أيضًا في العقل: "فإن أجل الأشياء موهبة العقل فإنه

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٦٨) برقم: (٣٠٤) (كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم) ومسلم في "صحيحه" (١ / ٥٠) برقم: (٤٩) (كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عَنْ المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص)

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦ / ٥٣) برقم: (٤٦١٩) (كتاب تفسير القرآن ، باب قوله إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس) ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٢٤٥) برقم: (٣٠٣٢) (كتاب التفسير ، باب فِي نزول تحريم الخمر.

(٣) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ذم الهوي ص ٢٣المحقق: خالد عبد اللطيف السبع العلمي الناشر: دار الكتاب العربي بيروت ط الأولي سنة النشر: ١٤١٨ -١٩٩

(٤) المرجع السابق ص ٢٤

المطلب الخامس : تعريف المنهج العقلي للدَّعوة إلى الله تعالي

المنهج العقلي من حيث الاستخدام في المجال الدعوي مرتبط ارتباط وثيق بالإنسان الذي كرمه الله تعالي به ورفعه درجات فوق سائر الكائنات والمخلوقات قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠ ﴾ الإسراء: ٧٠

ومعني التفضيل هنا كما ذكره المفسرون يقول الإمام القرطبي رحمة الله " (وَفَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلًا) أَيْ عَلَى الْبَهَائِمِ وَالدَّوَابِّ وَالْوَحْشِ وَالطَّيْرِ بِالْغَلَبَةِ وَالِاسْتِيلَاءِ، وَالثَّوَابِ وَالْجَزَاءِ وَالْحِفْظِ وَالتَّمْيِيزِ وَإِصَابَةِ الْفِرَاسَةِ "(١)

ويقول الامام الطبري رحمه الله: " القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا (٧٠)}

يقول تعالى ذكره (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) بتسليطنا إياهم على غيرهم من الخلق، وتسخيرنا سائر الخلق لهم (وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ) على ظهور الدوابّ والمراكب (و) في (البَحْرِ) في الفلك التي سخرناها لهم (وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ) يقول: من طيبات المطاعم والمشارب، وهي حلالها ولذيذاتها (وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا) ذكر لنا أن ذلك تمكنهم من العمل بأيديهم، وأخذ الأطعمة والأشربة بها ورفعها بها إلى أفواههم، وذلك غير متيسر لغيرهم من الخلق.(٢)

وذلك لتميزهم بنعمة العقل دون سواهم من المخلوقات ومن التعريفات العصرية للمنهج العقلي ما ذكره الشيخ الدكتور البيانوني بقوله " أ-« النظام الدعوي الذي يرتكز على العقل ويدعو إلى التفكر والتدبر والاعتبار »

ب - « مجموعة الأساليب الدعوية التي ترتكز على العقل وتدعو إلى التفكر والتدبر والاعتبار »(٣)

(١) القرطبي الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢٩٥
(٢) الطبري جامع البيان: ١٧/ ٥٠١
(٣) البيانوني ، المدخل إلى علم الدعوة : ٢٠٨.

المطلب السادس : أهم أساليب المنهج العقلي :

يمكن تقسيم أساليب المنهج العقلي إلي ما يأتي:

أولا :- المحاكمات العقلية والأقيسة بجميع أشكالها المتمثلة في : قياس الأولى ، والقياس المساوي ، وقياس الخلف (العكس) والقياس الضمني ، فمن أمثلة قياس الأولى :قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣ ﴾ التوبة: ١٣

ومن أنواع قياس الأولى كما ورد في السنة أمره عليه الصلاة والسلام بحفظ العورة لما سأله الصحابي عن ذلك فقد ورد في الحديث " " عن مُعَاذٍ وَيَزِيدُ بْنُ هَارُونَ قَالَا: حَدَّثَنَا بَهْزُ بْنُ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، عَوْرَاتُنَا مَا نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ. قَالَ: احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجَتِكَ، أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِذَا كَانَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، قَالَ: إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَرَاهَا أَحَدٌ فَلَا تُرِيَنَّهَا. قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ إِذَا كَانَ أَحَدُنَا خَالِيًا قَالَ: فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ مِنَ النَّاسِ. "(١)

ومن أمثلة القياس المساوي: قوله للشاب الذي استأذن بالزنا فرد عليه النبي صلي الله عليه وسلم ردا قاطعا رادعا فقد ورد في الحديث " عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ مَهْ ، فَقَالَ : ادْنُهْ فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا قَالَ : فَجَلَسَ قَالَ : أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ ؟ قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ) قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ قَالَ : وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ قَالَ : فَوَضَعَ يَدَهُ

(١) أخرجه الحاكم في "مستدركه" (٤ / ١٧٩) برقم: (٧٤٥١) (كتاب اللباس، أول ما رآه النبي من النبوة أن قيل له استتر) والنسائي في "الكبرى" (٨ / ١٨٧) برقم: (٨٩٢٣) (كتاب عشرة النساء، نظر المرأة إلى عورة زوجها) وأبو داود في "سننه" (٤ / ٧٢) برقم: (٤٠١٧) (كتاب الحمام، باب في التعري) والترمذي في "جامعه" (٤ / ٤٧٦) برقم: (٢٧٦٩) (أبواب الأدب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. باب ما جاء في حفظ العورة)

عَلَيْهِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ قَالَ : فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ . "(١)

ومن أمثلة قياس الخلف (وفي بضع أحدكم صدقة) فمما ورد في الحديث : " عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللهِ ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي ، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ قَالَ: أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ ، إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً ، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً ، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً ، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ ، [وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونَ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرًا]. "(٢)

ومن أمثلة القياس الضمني ما جاء في الحديث عن الصائم الذي اكل أو شرب ناسيا : " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِذَا نَسِيَ فَأَكَلَ وَشَرِبَ فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللهُ وَسَقَاهُ ."(٣) فقاس ضمنا الصائم الذي أكل وشرب ناسيا ، على الصائم الذي لم يأكل ولم يشرب لأن الخطأ والنسيان معفو عنه ويؤيد ذلك حديث رفع عن أمتي الخطأ والنسيان "

---

(١) أخرجه الحاكم في "مستدركه" (٢ / ٧٣) برقم: (٢٤١١) (كتاب الجهاد ، سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله) والبيهقي في "سننه الكبير" (٩ / ١٦١) برقم: (١٨٥٧٧) (كتاب السير ، باب في فضل الجهاد في سبيل الله) ، (٩ / ١٦١) برقم: (١٨٥٧٨) (كتاب السير ، باب في فضل الجهاد في سبيل الله) وأحمد في "مسنده" (١٠ / ٥٢٢٠) برقم: (٢٢٦٤١) (مسند الأنصار رضي الله عنهم ، حديث أبي أمامة الباهلي الصدي بن عجلان بن عمرو ويقال ابن وهب الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٢ / ١٥٨) برقم: (٧٢٠) (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى)، (٣ / ٨٢) برقم: (١٠٠٦) (كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف) وابن خزيمة في "صحيحه" (١ / ٧٢٩) برقم: (٧٤٨) (كتاب الصلاة، باب فضل التسبيح والتحميد والتكبير بعد السلام من الصلاة)، (٢ / ٣٨٧) برقم: (١٢٢٥) (كتاب الصلاة، باب فضل صلاة الضحى والبيان أن ركعتي الضحى تجزئ من الصدقة التي كتبت على سلامى المرء في كل يوم)

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣ / ٣١) برقم: (١٩٣٣) (كتاب الصوم، باب الصائم إذا أكل أو شرب ناسيا)، (٨ / ١٣٦) برقم: (٦٦٦٩) (كتاب الأيمان والنذور، باب إذا حنث ناسيا في الأيمان يت) ومسلم في "صحيحه" (٣ / ١٦٠) برقم: (١١٥٥) (كتاب الصيام ، باب أكل الناسي وشربه وجماعه لا يفطر)

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ ."[١]

ثانيا: ـ الجدل:

يقول ابن منظور عن تعريف الجدل في اللغة " جدل: الجَدْل: شِدَّة الفَتْل. وجَدَلْتُ الحَبْلَ أَجْدِلُه جَدْلًا إِذا شَدَدْتَ فَتْله وفَتَلْتَه فَتْلًا مُحْكَماً؛ وَمِنْهُ قِيلَ لِزِمَامِ النَّاقَةِ الجَدِيل. ابْنُ سِيدَهْ: جَدَلَ الشيءَ يَجْدُلُهُ ويَجْدِلُهُ جَدْلًا أَحكم فَتْله؛ وَمِنْهُ جَارِيَةٌ مَجْدُولة الخَلْق حَسَنة الجَدْل. والجَدِيل: الزِّمَامُ الْمَجْدُولُ "(٢). وفي باقي المعاجم اللغوية تتقارب التعاريف في اللفظ وتتحد في المعني

الجدل في الاصطلاح:

اختلفت عبارات العلماء في تعريف الجدل، ولعل ذلك راجع إلى نوع الفن الذي يتكلمون فيه، ونظرتهم إلى الجدل تحسينا أو تقبيحا، وقصد كل طائفة منه: –وهذه بعض التعريفات للجدل عندهم: فمعني الجدل عند الفلاسفة: عند أفلاطون: «الجدلي هو الذي يحسن السؤال والجواب»". وجمهور الفلاسفة –يقول فيه: «اسم الجدل إنما يدل على مخاطبة بين اثنين، يقصد كل واحد منهما غلبة صاحبه بأي نوع اتفق من الأقاويل».[٣]

معنى الجدل عند الفقهاء والأصوليين:

قال الإمام علي بن شهاب العكبريّ الحنبلي "والجدل تردد الْكَلَام بَين اثْنَيْنِ إِذا قصد كل وَاحِد مِنْهُمَا إحكام قَوْله ليدفع بِهِ قَول صَاحبه "[٤]

معنى الجدل عند المتكلمين: يقول الشريف الجرجاني رحمه الله في تعريفة الجدل: «الجدل: هو القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات، والغرض منه إلزام الخصم وإفحام من هو قاصر عن

(١) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١٦ / ٢٠٢) برقم: (٧٢١٩) (كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضوان الله عليهم أجمعين، ذكر الإخبار عما وضع الله بفضله عن هذه الأمة)

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ١١/١٠٣، –فصل الجيم.

(٣) د عثمان علي حسن، منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد ج١/ ٢٥ وما بعدها ط الأولى دار اشبيليا للطبع والنشر والتوزيع ١٤٢٠هـ الرياض

(٤) أبو علي الحسن بن شهاب بن الحسن بن علي بن شهاب العكبريّ الحنبلي) رسالة في أصول الفقه ص ١٢٤المحقق: د. موفق بن عبد الله بن عبد القادر الناشر: المكتبة المكية –مكة المكرمة الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ–١٩٩٢م

إدراك مقدمات البرهان. وقال عنه أيضا: الجدل: دفع المرء خصمه عن إفساد قوله: بحجة، أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة

أو هو: الجدال: عبارة عن مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها "[1]

استخدام أسلوب الجدل في الدعوة في ضوء القرآن الكريم:

قسم العلماء الجدل إلى ممدوح، ومذموم، وذلك بحسب الغاية منه، وبحسب أسلوبه، وبحسب ما يؤدي إليه، فالجدل الذي يهدف إلى إحقاق الحق ونصرته، ويكون بأسلوب صحيح مناسب، ويؤدي إلى خير، فهو «الجدل الممدوح» والجدل الذي لا يهدف إلى ذلك ولم يسلم أسلوبه، ولا يؤدي إلى خير، فهو «الجدل المذموم.

ومن أمثلة الجدل المحمود في القرآن الكريم:

أ - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴿١٢٥﴾ ﴾ النحل: ١٢٥

يقول الإمام السعدي في تفسيره لهذه الآية " فإن كان [المدعو] يرى أن ما هو عليه حق. أو كان داعيه إلى الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلا ونقلا. ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وألا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها. "(٢)

ب - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٦

وعن معني هذه الآية وما اشتملت عليه من آداب المجادلة لأهل الكتاب يقول الإمام الواحدي في تفسيره " قوله تعالى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} أي: بالقرآن والدعاء إلى الله بآياته، والتنبيه على حُجَجه {إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ} إلا من أبى أن يقرَّ بالجزية، ونَصَب العرب،

(١) علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني التعريفات ص ٧٤، ٧٥: الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م

(٢) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٤٥٢ الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠ م

فأولئك فجادلوهم حتى يسلموا، أو يعطوا الجزية {وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ} الآية، وهذا معنى قول قتادة وسعيد بن جبير وابن زيد؛ قالوا في قوله: {إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ} أهل العرب، ومن لا عهد له فجادلوا هؤلاء بالسيف ."(١)

ب-ومن أمثلة الجدل المذموم:قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥ ﴾ غافر: ٥

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغُرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٤ ﴾ غافر: ٤

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ ۝٦٩ ﴾ غافر: ٦٩

" ما يُجادِلُ يعني ما يخاصم ويحاجج في آيات الله يعني في دفع آيات الله بالتكذيب والإنكار إلا الذين كفروا قال أبو العالية آيتان ما أشدهما على الذين يجادلون في القرآن. قوله تعالى: ما يُجادِلُ فِي آياتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وقوله وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتابِ لَفِي شِقاقٍ بَعِيدٍ "(٢)

ثالثا: المناظرة

أ – تعريف المناظرة في اللغة:

قال ابن فارس: «النون والظاء والراء أصل صحيح يرجع فروعه إلى معنى واحد وهو تأمل الشيء ومعاينته، ثم يستعار ويتسع فيه...» ... : فمادة نظر تدور على ثلاثة معان: .(٣)

الأول: النظر الذي هو حس البصر ورؤيته، ومنه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣ ﴾ القيامة: ٢٢ – ٢٣

الثاني: النظر. معنى الانتظار، يقال: نظرت فلانا، وانتظرته، بمعنى واحد، ومنه (ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ) الحديد: ١٣

(١) أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي: التَّفْسِيرُ البسيط، ١٧/ ٥٣٧، الناشر: عمادة البحث العلمي –جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ

(٢) علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ) لباب التأويل في معاني التنزيل ،٦٨/٤ الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

(٣) مقاييس اللغة ٤٤٤/٥

ومن ذلك النظرة، بمعنى التأخير والإمهال قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ البقرة: ٢٨٠ وقوله تعالى ﴿ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ الأعراف: ١٤

الثالث: النظر. معنى التفكر في الشيء، وتقديره وقياسه، وهو نظر القلب وتأمله، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الأعراف: ١٨٥

المناظرة في الاصطلاح: قال الراغب: «والمُنَاظَرَةُ: المُبَاحَثَةُ والمُبَارَاةُ فِي النَّظَرِ، واسْتِحْضَارُ كلِّ ما يَرَاهُ بِبَصِيرَتِهِ، والنَّظَرُ: البَحْثُ، وهو أَعَمُّ مِنَ القِيَاسِ، لأَنَّ كلَّ قياسٍ نَظَرٌ، ولَيْسَ كُلُّ نَظَرٍ قِيَاساً.»[١]

"المراد بالنظر فكر القلب وتأمله في حال المنظور ليعرف حكمه: جمعا، أو فرقا، أو تقسيما. وحقيقة هذا النظر: التأمل، أو التفكر، أو الاعتبار والاستدلال. وعلى هذا فالمناظرة مفاعلة من النظر، وكل مناظرة تتضمن نظرة، وليس كل نظر يتضمن مناظرة؛ لأن النظر يقع من الواحد. "[٢]

فالمناظرة في الاصطلاح هي:" النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارا للصواب " [٣]

نماذج لاستخدام المناظرة في القرآن الكريم:

تتجلى معالم المناظرة في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، وما فيها من إحراج الخصم بل إفحامه، وعجزه عن الجواب، منذ خلق البشرية إلى يوم القيامة، إلا أن يسلم ويؤمن، وطلبُ الإجابة والتحدي، صورٌ من صور المناظرة، التي تعرض لها القرآن أكثر من مرة مثال ذلك:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الطور: ٣٥

و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ الواقعة: ٦٤

و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ الواقعة:

---

(١) أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) المفردات في غريب القرآن ص: ٨١٤ المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية –دمشق بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ

() منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد ١/ ٣٠

(٣) المرجع السابق ١/ ٣٠

و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ٣٣ ﴾ الرحمن: ٣٣

ومن امثلة المناظرة أيضا:

أ -مناظرة سيدنا نوح مع قومه.

في مناظرة سيدنا نوح مع قومه ورد عدد من الآيات في القرآن الكريم، منها : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢٥ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ٢٦ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ٢٧ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩ ﴾ هود: ٢٥ – ٢٩

ب-مناظرة سيدنا إبراهيم مع قومه:

مناظرته مع أبيه: ٱذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨ ﴾ مريم: ٤٢ – ٤٨

٢ –*مناظرته مع النمرود :* قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥٨ ﴾ البقرة: ٢٥٨

٣-*مناظرته مع عبدة الكواكب:* قَالَ تَعَالَى:﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ ﴾ الأنعام: ٧٥ – ٨٠

٤- *مناظرته مع عبدة الأصنام* : قَالَ تَعَالَى:﴿ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ٥١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ٥٢ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ٥٣ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٥٤ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ٥٥ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٦ ﴾ الأنبياء: ٥١ – ٥٦

المناظرة في السنة النبوية:

إن مشروعية المناظرة في السنة النبوية يمكن أن تؤخذ من جوانب السنة الثلاثة، أمر النبي صلى الله عليه وسلم، وفعله، وتقريره.

أولا: مشروعية المناظرة في السنة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم:

هناك عدد من الأحاديث التي يأمر فيها صلى الله عليه وسلم بمجاهدة أهل الضلال من المشركين وغيرهم وإنكار المنكر بكل الوسائل ومنها اللسان الذي له أثره في رد الباطل ومواجهته وإعزاز دين الله ونصرته.

ومن هذا الباب المجاهدة بالمناظرة أو المجادلة الشرعية التي تقطع الشبه، وتقام بها الحجة في أوسع معانيها؛ ويمكن الاستدلال على هذا المعنى بعدد من الأحاديث منها:

ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ، ثُمَّ

إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ ، يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ) (١)

-- عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: خَطَبَ مَرْوَانُ قَبْلَ الصَّلَاةِ فِي يَوْمِ الْعِيدِ، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنَّمَا كَانَتِ الصَّلَاةُ قَبْلَ الْخُطْبَةِ، فَقَالَ: تُرِكَ ذَلِكَ يَا أَبَا فُلَانٍ؟ فَقَامَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، فَقَالَ: أَمَّا هَذَا فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ رَأَى مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ.))(٢)

-- ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((: جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَيْدِيكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ .))(٣)

ثانيا: مشروعية المناظرة في السنة في فعله عليه الصلاة والسلام:

– ثبت من فعله عليه الصلاة والسلام أنه قد ناظر المشركين واليهود والنصارى في مقام إثبات نبوته صلى الله عليه وسلم ، ودعوتهم إلى الإسلام ، ونبذ شرهم وانحرافاتهم المختلفة ، وكان عليه الصلاة والسلام يناظرهم بالقرآن في كثير من أحواله ، ولو ذهبنا نستقصي ذلك لطال بنا المقام ، قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله : " ومناظرة الرسل لأعداء الله يطول ذكرها ، ومقامات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مع هذه الأمة أشهر من أن تذكر ، فمن شاءها فليقرأ المصحف من

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٥٠) برقم: (٥٠) (كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عَنْ المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص)، (١ / ٥١) برقم: (٥٠) (كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عَنْ المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص) وابن حبان في "صحيحه" (١ / ٤٠٣) برقم: (١٧٧) (كتاب الإيمان، ذكر إطلاق اسم الإيمان على من أتى جزءا من بعض أجزائه)، (١٤ / ٧٢) برقم: (٦١٩٣) (كتاب التاريخ، ذكر البيان بأن الأنبياء كان لهم حواريون يهدون بهديهم بعدهم)

() رواه مسلم في "صحيحه" (١ / ٥٠) برقم: (٤٩) (كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عَنْ المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص) وابن خزيمة في "صحيحه" (٢ / ٥٤٦) برقم: (١٤٣٠) (كتاب الصلاة، باب الخروج إلى المصلى لصلاة العيدين)

(٣) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١١ / ٦) برقم: (٤٧٠٨) (كتاب السير، ذكر الأمر بالحث على الجهاد وقتل أعداء الله الكفرة)

فاتحته إلى خامته، إلا أن أمته لم يكن فيهم من يجحد الخالق ، بل هم مقرون بربوبيته ، غير أنهم لم يقدروه حق قدره بل عبدوا معه غيره" .[1]

ومن ذلك ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ((أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا.

قال: لم؟ قال: ليعطوكه ، فإنك أتيت محمدا لتعرض لما قبله . قال : قد علمت قريش أني من أكثرها مالا . قال : فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له أو أنك كاره له .

قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجز ولا بقصيدة مني، ولا بأشعار الجن. والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه الطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته.

قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني حتى أفكر. فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر بأثره عن غيره فنزلت قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ المدثر: ١١. ومن ذلك أيضا (٢)ما حدث مع عتبة بن ربيعة بعد أن اغتاظ من خبر إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ((فقال يوما وهو جالس في نادي قريش – ورسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وحده – : يا معشر قريش ، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورة لعله يقبل بعضها ، فنعطيه أيها شاء ويكف عنا ، وذلك حين أسلم حمزة، ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون .

فقالوا: بلى يا أبا الوليد. قم إليه فكلمه.

فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه، فقال: يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السلطة " في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضي من آبائهم، فاسمع

---

(١) حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى: ١٣٧٧هـ) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (١/ ١١٠) المحقق: عمر بن محمود أبو عمر الناشر: دار ابن القيم –الدمام الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م

(٢) أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت ٧٣٣هـ) نهاية الأرب في فنون الأدب ١٦/٢٠٠الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ

مني، أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: قليد. أسمع.

قال: يا ابن أخي إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا، حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه، أو كما قال له.

حتى إذا فرغ عتبة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه قال: أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم. قال: فاسمع مني. قال عتبة. أفعل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

بسم الله الرحمن الرحيم.قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ ﴾ فصلت: ١ – ٣ إلى قوله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ۩ ۝٣٨ تَشۡتَهِيٓ فصلت: ٣٨ ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه فلما سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه، ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها، فسجد ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك، فقام عتبة إلى أصحابه. فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟

قال : ورائي أني قد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، قال : هذا رأي ، فاصنعوا ما بدا لكم .(١)

(١) عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣هـ) السيرة النبوية ٢٩٤/١ وما بعدها تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصرالطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ –١٩٥٥ م

ومثل هذه المناظرات كثيرة في سيرته صلى الله عليه وسلم مع قومه حيث تبرز صورا من أدبه صلى الله عليه وسلم في الحوار والمناظرة في مقابل جهالات قريش وزعمائها في مجادلاتهم وسوء أدبهم.

رابعا : الحوار :

أ – تعريف الحوار في اللغة :

الحوار لغة: من المحاورة، والمحاورة معناها: مراجعة المنطق والكلام والمخاطبة، وذلك مشتق من الحور، وهو الرجوع، ويأتي بمعنى النقصان، وتحاوروا: تراجعوا الكلام بينهم، والتحاور: التجاوب، واستحاره : استنطقه(١)

وقد ورد لفظ الحوار ومشتقاته في القرآن الكريم في ثلاث آيات:

قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ فُرُطًا الكهف: ٣٤

وقوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ ﴾ الكهف: ٣٧

وقوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ المجادلة: ١

الحوار في الاصطلاح:

هو الكلام المتبادل بين طرفين في أسلوب لا يقصد به الخصومة (٢)

المصطلحات ذات الصلة:

١ –الجدال: وهو المنازعة فيما وقع فيه خلاف بين اثنين (١)، والجدال يأتي بمعنى الحوار كما في قوله تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا} [المجادلة: ١] ، ومنه ما هو مذموم، ومنه ما هو محمود.

---

(١) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة

(٢) أحمد عبد الله الضويان، الحوار أصوله وآدابه السلوكية، ص١٧، ط. أولى، دار الوطن، الرياض

٢ –*المناظرة:* وهي تردد الكلام بين شخصين يقصد كل منهم تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق (٢)

وهي نوع من أنواع الحوار.

٣ –*المناقشة*: وهي الاستقصاء في الكشف عن الشيء، وهي نوع من أنواع الحوار.

٤ – *المماراة :* من المراء، يقال ماريته؛ أي جادلته ولاججته، وهي من الحوار المذموم.

مشروعية الحوار

الحوار جائز في الإسلام متى كانت المصلحة المتوقعة منه أعظم من المفسدة المترتبة عليه، ومتى ثبت أن نفعه أكثر من ضرره، وقد عني القرآن الكريم عناية بالغة بالحوار، وذلك أمر لا غرابة فيه أبدًا، فالحوار هو الطريق الأمثل للاقتناع الذي ينبع من أعماق صاحبه، والاقتناع هو أساس الإيمان الذي لا يمكن أن يُفرض فرضًا، وإنما ينبع من داخل الإنسان.

نماذج للحوار من القرآن الكريم:

يقدم لنا القرآن الكريم نماذج كثيرة من الحوار، منها:

١ –*ما دار بين الله عز وجل وملائكته في خلق آدم عليه السلام:*

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ البقرة: ٣٠ – ٣٢

٢ –*ما دار بين الله سبحانه وتعالى وبين إبراهيم –عليه السلام –عندما طلب من ربه أن يريه كيف يحيي ويميت:* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ البقرة: ٢٦٠

(١) أبو علي الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن: ١٠٦/٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت
(٢) أحمد الضويان، الحوار، ص١٧

٣ – قصة موسى – عليه السلام – حين طلب من ربه أن يسمح له برؤيته:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣ ﴾ الأعراف: ١٤٣

٤- قصة عيسى – عليه السلام – إذ سأله ربه عما إذا كان يطلب من الناس أن يتخذوه وأمه إلهين من دون الله:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦ ﴾ المائدة: ١١٦

٥ -الحوار في قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ٣٦ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ٣٧ ﴾ الكهف: ٣٤ – ٣٧

٦ - قصة إبراهيم – عليه السلام – حين هم أن يذبح ابنه:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ وَإِنَّ الصافات: ١٠٢

٧ –قصة قارون مع قومه:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ ٧٦

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ

ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ القصص: ٧٦ – ٧٨

٨ -حوار نوح –عليه السلام –لقومه:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ * قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿١١٥﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾ الشعراء: ١٠٥ – ١٢٢

٩ – حوار شعيب – عليه السلام – لقومه:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ * وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقٗا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ هود: ٨٤ – ٨٨

آداب الحوار

للحوار آداب لابد من الالتزام بها حتى يكون مثمرًا وبناء، وإلا كان عقيمًا وهادمًا، وهذه الآداب هي:

١ -*التقوى:* وذلك أن يجعل كل محاور تقوى الله نصب عينيه، فيراقبه في كل بنت شفة يلفظها، فلا يقول إلا حقًّا، ولا ينطق إلا صدقًا متثبتًا من الدليل، لقوله تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} [التغابن: ١٦].

يقول الإمام الجويني: (والمحافظة على تقوى الله في نظره يغنيه عن كثير من النصيحة، ويبلغه إلى أسهل الطرق في الهداية إلى الحق).(١)

٢ -*الإخلاص:* وذلك بأن يخلص النية في جداله وحواره، ويكون قصده في ذلك التقرب إلى الله تعالى، وطلب مرضاته في امتثال أمره فيما أمر به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الحق وإزهاق الباطل، فلا يقصد المباهاة وطلب الجاه والرياء، ولا يكون قصده الظفر بالخصم والسرور بالغلبة والقهر؛ فإن ذلك من دأب الأنعام.(٢)

٣ -*الوقار والحلم*: وذلك بأن يكون كل محاور وقورًا حليمًا من غير تعبيس ولا تقطيب، ولا يجازي السفيه على أقاويله بأمثالها. (٣)

وذلك:

١-لقوله صلى الله عليه وسلم: ((العلماء ورثة الأنبياء)) (٤)

---

(١) الجويني، الكافية في الجدل ٥٤١.

(٢) الكافية في الجدل، ص٥٢٩.

(٣) السعدي، قاموس الشريعة: ٣/٧.

(٤) «سنن أبي داود» (٣/ ٣١٧ ت محيي الدين عبد الحميد):

٣٦٤١ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدُ بْنُ مُسَرْهَدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دَاوُدَ، سَمِعْتُ عَاصِمَ بْنَ رَجَاءِ بْنِ حَيْوَةَ، يُحَدِّثُ عَنْ دَاوُدَ بْنِ جَمِيلٍ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي الدَّرْدَاءِ، فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ: إِنِّي جِئْتُكَ مِنْ مَدِينَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَدِيثٍ بَلَغَنِي، أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا جِئْتُ لِحَاجَةٍ، قَالَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ

٢، وروي عن أبي عبد الله الجدلي أنه قال: سألت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: ((لم يكن فاحشًا، ولا متفحشًا ولا صخابًا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح)) (١)

خامسا : ضرب الأمثال بأنواعها صريحة كانت أو كامنة ، أو أمثالا سائرة :

المثل في اللغة:

لغة: جمع مَثَل والمثل، هو الشيء الذي يضرب لشيء مثلا، فيجعل مثله، والأصل فيه التشبيه، كما في اللسان. (٢)

واصطلاحا: حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، وبها كانت تبلغ ما حاولت من حاجاتها في المنطق، وقد ضربها النبي صلى الله عليه وسلم وتمثل بها هو ومن بعده من السلف (٣)

ويجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام، فهو نهاية البلاغة:

١ –إيجاز اللفظ.

٢ –إصابة المعنى.

٣ –حسن التشبيه.

٤ –جودة الكناية. (٤)

ولذلك كان أكثر أدب القدماء وما دونوه من علوم مشفوعا بالأمثال والقصص عن الأمم، ونطقت ببعضه على ألسن الطير والوحش حتى يكون الخير، مقرونا بذكر عواقبه، والمقدمة موحية بنتائجها (٥)؛ لأن الكلام إذا جعل مثلا كان أوضح للمنطق، وأوسع لشعوب الحديث.

والأمثال لا تغير، بل تجرى في القول كما جاءت، فإذا ورد المثل. بالتأنيث، بقى على تأنيث في كل الأحوال، فقولك: الصيف ضيعت اللبن، هو في الأصل خطاب لامرأة ضيعت الأمر، ثم

الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ ١٦٢م، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»

(١) مسند أبي داود الطيالسي» (٣/ ١١٤)

(٢) ابن منظور لسان العرب مادة (مثل) طبعة دار المعارف وانظر في معاني المثل لغة: معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٥/ ٢٩٦، ٢٩٧، مختار الصحاح للرازي ص٦١٤، القاموس المحيط للفيروز آبادي ٤/ ٩٤، ٥٠»

(٣) السيوطى المزهر فى علوم اللغة وأنواعها ١/ ٤٨٦. ط عيسى الحلبي

(٤) . الميدانى مجمع الأمثال ١/ ٥ ط السنة المحمدية ١٣٧٤هـ–١٩٥٥م،

(٥) ابن وهب البرهان فى وجوه البيان ص١٤٦ طبعة بغداد

أرادت استدراكه فمنعت عنه، فإذا ضربته الآن لمفرد مذكر أو مثنى أو جمع، بقى على حاله بكسر التاء، ولا يغير عن صيغته التي ضرب بها. (١)

المثل في الاصطلاح:

وقال الحرالي: المثل ما يتحصل في باطن الإدراك من حقائق الأشياء المحسوسة فيكون ألطف من الشيء المحسوس فيقع لذلك جالبا لمعنى مثل المعنى المعقول ويكون الأظهر منهما مثلا للأخفى (كمثل النجوم) جمع نجم وهو الكوكب المضيء (في السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر) فكذا العلماء يهتدى بهم في ظلمات الضلال والجهل قال في العوارف: والهدى وجدان القلب موهبة العلم من الله تعالى (فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة) فكذا إذا ماتت العلماء أوشك أن تضل الناس والطموس كما في الصحاح وغيره الدروس والانمحاء وانطمس الأثر انمحى قال الزمخشري: ومن المجاز رجل طامس القلب ميته لا يعي شيئا ونجم طامس ذاهب الضوء وقد طمس الغيم انتهى(٢)

والمثل السائر في كلام العرب كثير، نظما ونثرا، وأفضله أوجزه، وأحكمه أصدقه (٣)

المَثَل، والمِثْل، يستعمل حقيقة في ثلاثة معان:

الأول: الشبيه والنظير، يقال: هذا مثل هذا، أي نظيره، قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ١١٨﴾ البقرة: ١١٨

أي أن قول مشركي العرب نظير وشبيه قول من قبلهم من اليهود والنصارى في العتو والمكابرة. (٤)

الثاني: المثل المضروب، وهو القول السائر الممثل مضربه بمورده غالبا، أي أن ما ضرب فيه ثانيا جعل مثلا لما ورد فيه أولا. (١)

---

(١) المزهر فى علوم اللغة وأنواعها ١/ ٤٨٨.

(٢) زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ) فيض القدير شرح الجامع الصغير (٢/ ٥١٩) الناشر: المكتبة التجارية الكبرى –مصر الطبعة: الأولى، ١٣٥٦

(٣) ابن رشيق العمدة ١/ ٢٨٠

(٤) ابن كثير تفسير ١/ ١٦١، ١٦٢.

الثالث: الصفة، كقوله تعالى:قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ ﴾ الرعد: ٣٥ ، أي صفة الجنة التي وعد المتقون، وقوله: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ الفتح: ٢٩

، أي صفتهم في التوراة والإنجيل.(٢)

وقد وردت الأمثال في القرآن الكريم، والسنة النبوية، وخرجت مخرج المثل السائر. ومن أمثلتها:

أ -الأمثال في القرآن الكريم:

ضرب الله الأمثال لمن غاب عن الأشياء، وخفيت عنه الأشياء، فالعباد محتاجون إلى ضرب الأمثال لما خفيت عليهم الأشياء، فضرب لهم مثلا من عند أنفسهم لا من عند نفسه؛ ليدركوا ما غاب عنهم، فأما من لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فلا يحتاج إلى الأمثال. وهذه بعض نماذج للأمثال في القرآن الكريم

النموذج الأول:

وقع في القرآن أمثال وان أمثال القرآن لا يعقلها إلا العالمون وأنها شبيه شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الأخر واعتبار أحدهما بالآخر كقوله تعالى في حق المنافقين: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ البقرة: ١٧

فضرب للمنافقين بحسب حالهم مثلين مثلا ناريا ومثلا مائيا لما في الماء والنار من الإضاءة والإشراق والحياة فإن النار مادة النور والماء مادة الحياة وقد جعل الله سبحانه الوحي الذي أنزل من السماء متضمنا لحياة القلوب واستنارتها ولهذا سماه روحا ونورا وجعل قابليه أحياء في النور ومن لم يرفع به رأسا أمواتا في الظلمات، وأخبر عن حال المنافقين بالنسبة إلى حظهم من الوحي

(١) الزمخشري الكشاف بحاشيته ١/ ١٩٥، روح المعاني للآلوسي ١/ ١٦٣.
(٢) القرطبي ٩/ ٣٢٤، ١٦/ ٢٣٦.

أنهم بمنزلة من استوقد نارا لتضيء له وينتفع بها وهذا لأنهم دخلوا في الإسلام، فاستضاءوا به وانتفعوا به.

«تشبيه الكفار بالمطر المصاحب للظلمة والرعد والبرق وآمنوا به وخالطوا المسلمين ولكن لما لم يكن لصحبتهم مادة من قلوبهم من نور الإسلام طغى عنهم وذهب الله بنورهم.

ولم يقل نارهم فإن النار فيها الإضاءة والإحراق فذهب الله بما فيها من الإضاءة وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق وتركهم في ظلمات لا يبصرون فهذا حال من أبصر ثم عمي وعرف ثم أنكر ودخل في الإسلام ثم فارقه بقلبه لا يرجع إليه ولهذا قال: (فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ).

ثم ذكر حالهم بالنسبة إلى المثل المائي فشبههم بأصحاب صيب وهو المطر الذي يصوب أي ينزل من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق فلضعف بصائرهم وعقولهم اشتدت عليهم زواجر القرآن ووعيده وتهديده وأوامره ونواهيه وخطابه الذي يشبه الصواعق فحالهم كحال من أصابه مطر فيه ظلمة ورعد وبرق فلضعفه وخوفه جعل أصبعيه في أذنيه خشية من صاعقة تصيبه (١)

النموذج الثاني:

«الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: قَالَ تَعَالَى:﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ العنكبوت: ٤١

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْآلِهَةَ وَالْأَوْثَانَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ يَرْجُونَ نَصْرَهَا وَنَفْعَهَا عِنْدَ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا فِي ضَعْفِ احْتِيَالِهِمْ، وَقُبْحِ رِوَايَاتِهِمْ، وَسُوءِ اخْتِيَارِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ، كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ فِي ضَعْفِهَا، وَقِلَّةِ احْتِيَالِهَا لِنَفْسِهَا، اتَّخَذَتْ بَيْتًا لِنَفْسِهَا، كَيْمَا يُكِنَّهَا، فَلَمْ يُغْنِ عَنْهَا شَيْئًا عِنْدَ حَاجَتِهَا إِلَيْهِ، فَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ لَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ حِينَ نَزَلَ بِهِمْ أَمْرُ اللَّهِ، وَحَلَّ بِهِمْ سَخَطُهُ أَوْلِيَاؤُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ شَيْئًا، وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ بِهِمْ مِنْ سَخَطِهِ بِعِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُمْ. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ» (٢)

---

(١) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) الأمثال في القرآن ص ٩، ١٠ الناشر: مكتبة الصحابة –مصر–طنطا الطبعة: الأولى ١٤٠٦ هـ –١٩٨٦

(٢) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٨/٤٠٣تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م٤٠٣):

النموذج الثالث:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ الفتح: ٢٩

«قَوْله تَعَالَى: {مُحَمَّد رَسُول الله} هَذِه الْآيَة شَهَادَة من الله تَعَالَى لرَسُوله بِالْحَقِّ وَأَنه رَسُوله حَقِيقَة. وَقَوله: {وَالَّذين مَعَه} يَعْنِي: أَصْحَابه.

وَقَوله: {أشداء على الْكفَّار} أَي: غِلَاظ شَدَّاد عَلَيْهِم، وَهُوَ فِي معنى قَوْله: ({أعزة على الْكَافرين} رحماء بَينهم) أَي: متوادون ومتواصلون بَينهم، وَهُوَ فِي معنى قَوْله: {أَذِلَّة على الْمُؤمنِينَ} .

وَقَوله: {تراهم ركعا سجدا} أَي: راكعين ساجدين.

وَقَوله: {يَبْتَغُونَ فضلا من الله ورضوانا} أَي: الْجنَّة وَالثَّوَاب الْمَوْعُود.

وَقَوله: {سِيمَاهُمْ فِي وُجُوههم من أثر السُّجُود} قَالَ ابْن عَبَّاس: هُوَ فِي الْقِيَامَة، وَذَلِكَ من آثَار الْوضُوء على مَا قَالَ: " أمتي غر محجلون من آثَار الْوضُوء " فعلى هَذَا يكون (الْمُؤْمِنُونَ) بيض الْوُجُوه من أثر الْوضُوء وَالصَّلَاة. وَقَالَ عِكْرِمَة: من أثر السُّجُود: هُوَ التُّرَاب على الجباه، وَقد كَانُوا يَسْجُدُونَ على التُّرَاب، وَقَالَ الْحسن: هُوَ السمت الْحسن، وَعَن سعيد بن جُبَير: هُوَ الخضوع والتواضع، وَهُوَ رِوَايَة عَن ابْن عَبَّاس، وَيُقَال: صفرَة الْوَجْه من سهر اللَّيْل، وَهَذَا قَول مَعْرُوف.

وَقَوله: {ذَلِك مثلهم فِي التَّوْرَاة} أَي: صفتهمْ فِي التَّوْرَاة.

وَقَوله: {وَمثلهمْ فِي الْإِنْجِيل} مِنْهُم من قَالَ: الْوَقْف على قَوْله: {ذَلِك مثلهم فِي التَّوْرَاة}، وَقَوله: {وَمثلهمْ فِي الْإِنْجِيل} كَلَام مُبْتَدأ بِمَعْنى: صفتهمْ فِي الْإِنْجِيل كزرع، وَمِنْهُم من قَالَ: الْوَقْف على قَوْله: {فِي الْإِنْجِيل}» «تفسير السمعاني» (٥/ ٢١٠):

«{التَّوْرَاة وَمثلهمْ فِي الْإِنْجِيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فَاسْتَوَى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الْكفَّار وعد الله الَّذين آمنُوا وَعمِلُوا الصَّالِحَات مِنْهُم مغْفرَة وَأجرا عَظِيما (٢٩)}

وَقَوله: {كزرع} مَعْنَاهُ: هم كزرع.

وَقَوله: {أخرج شطأه} أَي: فِرَاخه. يُقَال: أشطأ الفزرع إِذا فرخ، وَمعنى الْفِرَاخ: هُوَ أَنه ينْبت من الْحبَّة الْوَاحِدَة عشر سنابل وَأَقل وَأكْثر.

وَقَوله: {فآزره} أَي: قواه، وَقُرِئَ: " فأزره " بِغَيْر مد، وَهُوَ بِمَعْنى الأول.

وَقَوله: {فاستغلظ} أَي: استحكم وَاشْتَدَّ وَقوي.

وَقَوله: {فَاسْتَوَى على سوقه} أَي: انتصب على سَاق.

وَقَوله: {يعجب الزراع} أَي: الحراث. وَهَذَا كُله ضرب مثل النَّبِي وَأَصْحَابه، وَذكر صفتهمْ وَمَا قوى الله بهم النَّبِي وَنَصره بهم.

وَعَن جَعْفَر بن مُحَمَّد الصَّادِق قَالَ: {وَالَّذين مَعَه} أَبُو بكر {أشداء على الْكفَّار} عمر {رحماء بَينهم} عُثْمَان) {تراهم ركعا سجدا} عَليّ رَضِي الله عَنْهُم {يَبْتَغُونَ فضلا من الله ورضوانا} الْعشْرَة.

وَقَوله: {كزرع} مُحَمَّد {أخرج شطأه} أَبُو بكر {فآزره} بعمر {فاستغلظ} بعثمان {فَاسْتَوَى على سوقه} بعلي رَضِي الله عَنْهُم أَجْمَعِينَ، وَهَذَا قَول غَرِيب ذكره النقاش، وَالْمُخْتَار وَالْمَشْهُور هُوَ الْقَوْل الأول، أَن الْآيَة فِي جَمِيع أَصْحَاب النَّبِي من غير تعْيين، وَعَلِيهِ الْمُفَسِّرُونَ.

وَقَوله: {ليغيظ بهم الْكفَّار} أَي: ليدْخل الغيظ فِي قُلُوبهم.

وَقَوله: {وعد الله الَّذين آمنُوا وَعمِلُوا الصَّالِحَات مِنْهُم مغْفرَة وَأجرا عَظِيما} اخْتلفُوا فِي قَوْله: {مِنْهُم} فَقَالَ قوم: من هَاهُنَا للتجنيس لَا للتَّبْعِيض. قَالَ الزّجاج: هُوَ تَخْلِيص للْجِنْس، وَلَيْسَ الْمُرَاد بَعضهم؛ لأَنهم كلهم مُؤمنُونَ، وَلَهُم الْمَغْفِرَة وَالْأَجْر الْعَظِيم» (١)

المثل في السنة النبوية:

النموذج الأول:

" عَنْ أَبِي مُوسَى ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا ، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ ، قَبِلَتِ الْمَاءَ ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ ، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى ، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ ، لَا تُمْسِكُ مَاءً ، وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا ، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ .

---

(١) أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ) تفسير القرآن ٥/٢٠٩-٢١٠المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: قَالَ إِسْحَاقُ: وَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ قَيَّلَتِ الْمَاءَ، قَاعٌ يَعْلُوهُ الْمَاءُ، وَالصَّفْصَفُ الْمُسْتَوِي مِنَ الْأَرْضِ."(١)

هذا الحديث في بيان في بيان طبقات الناس من الآمرين والمأمورين والمتخلفين. وأن السالكين طريق الحق الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بين أهل الفساد من الغرباء المكروهين.

قال الإمام النووي: معنى هذا التمثيل أن الأرض ثلاثة أنوع فكذلك الناس

فالنوع الأول من الأرض: ينتفع بالمطر فتحيا بعد أن كانت ميتًا وتنبت الكلأ فينتفع به الناس والدواب والزرع وكذلك النوع الأول من الناس يبلغه الهدى والعلم فيحفظه فيحي به قلبه ويعمل به ويعلمه غيره فينتفع وينفع.

النوع الثاني من الأرض: ما لا تقبل الانتفاع في نفسها لكن فيها فائدة وهي إمساك الماء لغيرها فينتفع به الناس والدواب. وكذلك النوع الثاني من الناس لهم قلوب حافظة لكن ليست لهم أذهان ثاقبة ولا رسوخ لهم في العلم يستنبطون به المعاني والأحكام وليس لهم اجتهاد في العمل به فهم يحفظونه حتى يجيء أهل النفع والانتفاع فيأخذوه منهم فينتفعوا به فهؤلاء نفعوا الناس بما بلغهم.

والنوع الثالث من الأرض: هو السباخ الذي لا تنبت فهي لا تنتفع بالماء ولا تمسكه لينتفع به غيرها وكذا النوع الثالث من الناس ليست لهم قلوب حافظة ولا أفهام واعية فإذا سمعوا العلم لا ينتفعون به ولا يحفظونه فينتفع به غيرهم.

فالمثل الأول. للمنتفع النافع. والثاني للنفاع غير المنتفع. والثالث لغيرهما." (٢)

النموذج الثاني:

"عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا ، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا ، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ ، فَقَالُوا : لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٢٧) برقم: (٧٩) (كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم) ومسلم في "صحيحه" (٧ / ٦٣) برقم: (٢٢٨٢) (كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الهدى والعلم)

(٢) عبد الرحمن بن أبي بكر بن داود الحنبلي الدمشقي الصالحي (ت ٨٥٦ هـ) الكنز الأكبر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص٢٦٧المحقق: د. مصطفى عثمان صميدة، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ -١٩٩٦ م.

نَصِيبِنَا خَرْقًا ، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا ، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا ، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا ."(١)

الصورة التي يقدمها النبي . صلى الله عليه وسلم . لواقع الحياة على هذه الأرض، وعلائق الناس فيها، ببعضهم، ومسؤوليتهم في الحفاظ على بقائها وصلاحها صورة منتزعة من واقع مشاهد، لا يتأتى لأحد أن يجادل، أو يتوقف فيه البتة، فلن يكون منه إلا التسليم بما ينتهي إليه التصوير والمقارنة والموازنة، من هدي يأخذ بأيدي الناس إلى التي هي أهدى وأقوم، اقتناعا واطمئنانا، فينقادون إليه انقياد ذي الأغلال، إلى خير، يرمى به إليه يشبه الرسول صلى الله عليه وسلم، القائم على حدود الله تعالى، المراقب لها، الواقف عند حماها في جميع شأنه، والواقع فيها، الراتع المنهمك المستمر في انتهاكها، فلا يرعوى، يشبه هذين الصنفين . وفي رواية لأحمد يضيف إليهم المداهن في حدود الله. المصانع المنافق، المزين لانتهاك الحرمات، الساكت عن ذلك. الانتهاك، تحت ستار الحرية . يشبه هذه الأصناف الثلاثة وعلائقهم ببعضهم على ظهر هذه الأرض، بقوم شاءوا السفر في سفينة تمخر عباب البحر، فكان بينهم استهام المنازل واقتسامها، فكان لبعضهم أعلاها، وكان لبعضهم أسفلها، وهو أوعرها وشرها كما في رواية لأحمد . وكذلك منازل الناس في الحياة على هذه الأرض . وكان الذين في أسفلها في حاجة إلى أن يستقوا ماءً، فإذا استقوا مرّوا على من فوقهم، النازلين اقتراعاً أعلى السفينة، فكان ضرورة أن يَصُبّ الأسفلون عند مرورهم على الأعلين، فتأذى الأعلون، وفي رواية للترمذي وأحمد «فقال الذين في أعلاها: لا ندعكم تصعدون فتؤذوننا» فثقل ذلك على الأسفلين: كما في رواية لأحمد «فقال الأسفلون: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا فاستقينا منه ولم نمرَّ على أصحابنا فنؤذيهم» وفي رواية للبخاري: «فأخذ فأساً فجعل ينقر أسفل السفينة فأتوه فقالوا: ما لك؟ فقال: تأذيتم بي ولابد لي من الماء» وهنا برز صنيع المداهنين المصانعون الذين يبغون الفتنة في الأرض، تحت شعار الحرية الشخصية، فقال بعضهم كما في رواية للإمام أحمد: «إنما يخرق في نصيبه» ، وقال الآخرون: لا، فإن أخذوا على يدي ذلك الخارق، ولم ينخدعوا بمقاله المداهن، الرافع شعار ((الحرية الشخصية)) نجا الجميع، وإن تركوه يخرق في نصيبه خرقاً هلكوا جميعاً.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣ / ١٣٩) برقم: (٢٤٩٣) (كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه)، (٣ / ١٨١) برقم: (٢٦٨٦) (كتاب الشهادات، باب القرعة في المشكلات) وابن حبان في "صحيحه" (١ / ٥٣٢) برقم: (٢٩٧) (كتاب البر والإحسان، ذكر الإخبار عن وصف القائم في حدود الله والمداهن فيها) ، (١ / ٥٣٣) برقم: (٢٩٨) (كتاب البر والإحسان ، ذكر تمثيل المصطفى صلى الله عليه وسلم الراكب حدود الله والمداهن فيها مع القائم بالحق بأصحاب مركب ركبوا لج البحر)

هذا التفصيل لوقائع الأحداث في المشبه به (أصحاب السفينة) يشير إلى وقائع مثلها في حياة الناس، في هذه الأرض.

والرسول صلى الله عليه وسلم . اختار موقع أحداث المشبه به سفينة، وهو مكان دال على عظيم تعرضه للمخاطر الجسام، التي لا تخفى، ليهدي الناس إلى أنَّ هذه الأرض، وما عليها، لا تقل تعرضاً للمخاطر الجسام عما تتعرض له السفينة في بحر لجيَّ، قد تكون خطايا بعض ساكنيها سببا لهلاك جميعهم حين لا يأخذون على أيديهم "(١)

النموذج الثالث:

"عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ، يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ: ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ. قَالُوا: لَا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا."(٢)

"التصوير البلاغي المستمد من المعاني الوضعية في اللغة العربية لهذا الحديث الشريف: تنوعت مصادره الجمالية، فالصورة الأولى: أوحت بها همزة الاستفهام "أرأيتم"؛ فقد أفادت معان كثيرة فوق المعنى الوضعي لها في اللغة، وهي الإجابة عن هذا السؤال منها: إثارة انتباه السامع لأهمية موضوع الصلاة والاستعداد لها بالطهارة والغسل، فهي عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين، ومن هدمها فقد هدم الدين، لأنها تربية بدنية وروحية وأخلاقية واجتماعية، ومنها: إفادة التقرير والثبوت، فليس المرادُ بالاستفهام الإجابة عن السؤال فحسب، بل المراد أيضًا أن هذه التربية البدنية، والقيم الخلقية والاجتماعية، أمر ثابت ومقرر، لمن أدى الصلاة بعد الاغتسال والوضوء خمس مرات في اليوم والليلة، ومنها: أن الاستفهام بالهمزة وهي حرف مفرد يفيد التحقيق والحق والحقيقة، فلا مجال هنا للتردد والظن، مما تضمنته بنية "هل" من احتمال هذه الظنون، بمعنى أن من اغتسل خمسًا للصلوات المفروضة فجزاء فاعلها محو الذنوب حقًا وحتمًا لا مرد فيه، لأنه وعد الله، والله لا يخلف الميعاد، وكذلك الأمر في الاستفهام الثاني في قوله: "ما تقول ذلك يُبقي من درنه؟ ". والصورة» «الثانية: في تخصيص الفعل المضارع دون الماضي والأمر، في قوله:

---

(١) د. محمود توفيق محمد سعد، ، فقه تغيير المنكر ص ١٤٩-١٥٠الناشر: موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١١٢) برقم: (٥٢٨) (كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة) ومسلم في "صحيحه" (٢ / ١٣١) برقم: (٦٦٧) (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات)

"يغتسل، ويبقي، ولا يبقي، ويمحو" (١)للدلالة على تكرار الغسل وتجدده واستمراره، وما أجمل العموم في لفظ "يغسل" غير المقيد، وبلاغته العميقة في تنوع الغسل، ليشمل جميع البدن أو معظمه، أو الاقتصار على أعضاء الوضوء فقط، وللدلالة على طهارة تجدد الأوساخ الحسية في البدن والثوب، والمعنوية من الطهارة النفسية والقلبية، فهو متجدد مع المرات الخمس، وللدلالة على استمرار محو الذنوب في يمحو بها الخطايا في العمر كله، لتجدد الغسل والصلاة المفروضة كل يوم، وكذلك الحال في الصور البلاغية المستمدة من وحي اللغة في "أرأيتم –ونهرًا– وكل يوم– ومن درنه– والصلوات الخمس– وبها الخطايا".(٢)

التصوير الفني في بلاغة الأسلوب البياني المستمد من ألوان الخيال، يتخذ منها صورًا حسية مؤثرة في النفس والقلب والعقل والوجدان. سواء أكانت صورًا جزئية أو كلية، فأما الصور الجزئية فمنها: المجازُ المرسلُ في "يغتسل فيه"، فليس المرادُ أن يغتسل في امتداد النهر كلِّه، يَسْبَحُ فيه من أوله إلى آخره، بل المراد في جزء منه، لتوحي الكلية في النهر بشمول الجسد وكمال الطهارة، ومنها: الاستعارة المكنية في كل من "يبقى من درنه، ولا يبقى." فهي تفيد بأن النهر له تأثير فاعل كالإنسان؛ لتنظيف الجسد وتطهيره، فيشتمل على البدن خمس مرات، حتى لا يبقى من درنه شيء، ومنها: صورة الاستعارة التصريحية في "يمحو بها الخطايا" "من درنه شيء"، ومنها: صورة الاستعارة التصريحية في "يمحو بها الخطايا" لأن الخطايا أمر معنوي، والمحو لا يكون إلا للحسي، فجاءت في صورة محسوسة للتأكيد على غفرانها كلها، سواء الصغائر منها أو الكبائر على الأرجح عند العلماء، ومنها: صورة التشبيه التمثيلي فقد شُبِّه الاغتسال خمس مرات؛ لإزالة الأوساخ الحسية والنفسية بأداء الصلوات الخمس»(٣)

إن استخدام الداعية للمنهج العقلي في خطاب المدعوين عن طريق تطبيق اساليبه المتنوعة والتي اوردناها في عرضنا لما سبق في هذا المبحث، ومن مظاهر تطبيق *أساليب المنهج العقلي في الدعوة ما يأتي:*

أولا –محاربة الجمود العقلي والتقليد الأعمى لآباء والجداد ومن سلف :

---

(٢) د علي علي صبح، التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث الطبعة: الأولى: ١٤٢٣ هـ-٢٠٠٢م

(٣) التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف» ص ٣٤

لأن البناء على أساس عقلي متين يقتضي تنقية الرواسب والأكداس التي خلفتها القرون الماضية وأكسبتها طابع القداسة فهيمنت على العقول وحجبتها عن البحث والتأمل التفكير وقد أنب القرآن المشركين على تمسكهم بآراء السابقين من الآباء والأجداد ولو كانوا على ضلال مبين قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠ ﴾ البقرة: ١٧٠

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣ ﴾ الزخرف: ٢٣

ثانيا: دعوة المخاطبين إلي النظر والتفكر في ملكوت السماوات والرض :

فقد أمر الله سبحانه وتعالي كل بني آدم أن ينظروا ويتفكروا في صفحة الكون المنظور لأن فيه من الآيات والبراهين والأدلة على الباري سبحانه وتعالى مالا تعد ولا تحصي قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٦٤ ﴾ البقرة: ١٦٤

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾ يونس: ١٠١

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ٢ ﴾ الرعد: ٢

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ١٠ ﴾ لقمان: ١٠

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ٥٩ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ

لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ النمل: ٥٩ – ٦٥

ثالثا: محاربة الطغاة والجبابرة وأولياء الطاغوت والتصدي لهم :

والمعاندون هم الذين يرون الحقائق ماثلة أمام أعينهم ولكنهم يكابرون ويجادلون ويختلقون الأكاذيب، لطمس الحقائق وصرف العقول، وهم الذين يناصبون الأنبياء العداء بمهاتراتهم في طلب المعجزات الحسية، فيقول الله تعالى فيهم ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ الأنفال: ٣١ –٣٢

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ ﴾ الإسراء: ٩٠

رابعا : استخدام أسلوب الرفق واللين والقول الحسن المبين يأتي بالثمار اليانعة والنجاح مقرونا بالفلاح :

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ النحل: ١٢٥

خامسا: ما على الداعية إلا البلاغ والهداية من عند الله :

بعد أن يقوم الداعية بمهمته و ويبذل قصارى جهده في دعوته، فعليه أن يترك النتائج المرجوة بيد الله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢٥ ﴾ الأنعام: ١٢٥

وقال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦ ﴾ القصص: ٥٦

المبحث الثاني

استخدام المنهج العقلي في خطاب أهم أصناف المدعوين

يشتمل هذا المبحث على المطالب الأتية:

المطلب الأول: خطاب المشركين.

المطلب الثاني: خطاب أهل الكتاب.

المطلب الثالث: خطاب المنافقين.

المطلب الرابع: خطاب الملأ.

المطلب الأول : خطاب المشركين :

أولا : تعريف الشرك في اللغة والاصطلاح :

ا-تعريف الشرك لغة:

جاء في معجم تهذيب اللغة: "الشرك بمعنى الشريك وهو بمعنى النصيب وجمعه أشراك كشبر وأشبار". (١)

وذكر صاحب مقاييس اللغة أن مادة "الشرك" المكونة من حرف "الشين والراء والكاف" لها أصلان:

أحدهما: يدل على مقارنة وخلاف انفراد، والآخر يدل على امتداد واستقامة، فالأول: الشركة وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، ويقال: شاركت فلانا في الشيء إذا صرت شريكه، وأشركت فلانا إذا جعلته شريكا لك قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ ﴾ طه: ٣٢

ويقال في الدعاء: "اللهم أشركنا في دعاء المؤمنين" أي اجعلنا لهم شركاء في ذلك.

وأما الثاني: فالشرك: لقم الطريق، وهو شراكه أيضا، وشراك النعل مشبه بهذا، ومنه شراك الصائد سمى ذلك لامتداده. (٢)

وقال صاحب اللسان: "الشركة والشركة سواء مخالطة الشريكين يقال: اشتركنا بمعنى تشاركنا، وقد اشترك الرجلان وتشاركا وشارك أحدهما الآخر، والشريك المشارك، والشرك كالشريك، والجمع أشراك وشركاء".(٣)

فمدلول كلمة الشرك في اللغة تطلق على النصيب والتسوية والمخالطة والمصاحبة.

ب-الشرك في الشرع وبيان أقسامه:

(١) محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت٣٧٠) هـ) تهذيب اللغة (١٠/ ١٧). المحقق: محمد عوض مرعب الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م

(٢) مقاييس اللغة (٣/ ٣٦٥)

(٣) لسان العرب (١٠/ ٤٤٨)

الشرك هو أن يجعل الإنسان لله تعالى شريكا وندا فيما يجب أن يكون حقا خالصا لله تعالى بمعنى أن يصرف شيئا من خصائص الربوبية والألوهية لغير الله تبارك وتعالى وهو ينقسم إلى قسمين: أكبر وأصغر.

وقد تناول ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى هذه الأقسام فقال: "وأما توحيد الإلهية فالشرك فيه تارة يوجب الكفر والخروج من الملة، والخلود في النار، ومنه ما هو أصغر كالحلف بغير الله والنذر له، وخشية غير الله ورجائه والتوكل عليه والذل له، وقول القائل: ما شاء الله وشئت. (١)

وقال رحمه الله تعالى عن الشرك الأكبر: "ظلم النفس وأعظمه الشرك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ لقمان: ١٣

فإن المشرك جعل المخلوق في منزلة الخالق فعبده وتألهه، فهو وضع الأشياء في غير مواضعها وأكثر ما ذكر في القرآن وعيد الظالمين إنما أريد به المشركون كما قال الله عز وجل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٤

وقال عن الشرك الأصغر: " ... وإنما زاد عذاب أهل الرياء على سائر العصاة، لأن الرياء هو الشرك الأصغر، والذنوب المتعلقة بالشرك أعظم من المتعلقة بغيره".

وقال رحمه الله تعالى عن النوعين جميعا: "فإن جميع النعم من الله وفضله ... فمن أضاف شيئا من النعم إلى غير الله مع اعتقاد أنه ليس من الله فهو مشرك حقيقة، ومع اعتقاد أنه من الله فهو شرك خفي (٢)

ثانيا : الدعوة إلي الإيمان بالله – تعالى- بدلائل الآيات والإنسانية الكونية

---

(١) د/عبد الله بن سليمان الغفيلي، ابن رجب الحنبلي وأثره في توضيح عقيدة السلف(ص٣٨٩): الناشر: دار المسير، الرياض –المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولي، ١٤١٨ هـ –١٩٩٨ م وانظر،

(٢) زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (٧٣٦ –٧٩٥ هـ) فضل علم السلف على علم الخلف (ص ١٠٢) دراسة وتحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ –٢٠٠٤ م

أ-: الدعوة إلي الإيمان بالله – تعالى-بدلائل الآيات والإنسانية

الاستدلال بخلق الإنسان لإثبات ألوهية الله تعالى ووحدانيته جاء في قوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ البقرة: ٢١

وخلق الإنسان آية من الآيات الدالة على ربوبية الله تعالى ووحدانيته ، لفت سبحانه نظر المدعوين إليها كما لفت أنظارهم إلى مخلوقاته الأخرى ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٥٣﴾ فصلت: ٥٣

كما أخذ حديث القرآن عن مادة خلق الإنسان صيغا متعددة كلها تدل على مراحل تكوين هذا الخلق و تطوره: تراب، طين ، طين لازب ، صلصال من حمأ مسنون ، صلصال كالفخار وهذا في الحديث عن خلق آدم عليه السلام .

١- *أطوار خلق الإنسان كما ورد في القرآن الكريم:*

خلق الله – تعالى – آدم – عليه السلام – من تراب، ومرَّ هذا التراب بمراحل، لأن هذا التراب صار طينا، ثم خمر هذا الطين فصار حمأ مسنونا، أي: طينا أسود متغير الرائحة، ثم يبس هذا الطين فصار صلصالا كالفخار ولقد وردت في القرآن الكريم الآيات البينات التي تناولت هذه المراحل على النحو التالي:

المرحلة الأولي: خلق آدم – أبو البشرية – علية السلام

الطور الأول: التراب

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩﴾ آل عمران: ٥٩

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ٣٧﴾ الكهف: ٣٧

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٥ ﴾ الحج: ٥

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ۝٢٠ ﴾ الروم: ٢٠

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝١١ ﴾ فاطر: ١١

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخٗاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبۡلُۖ وَلِتَبۡلُغُوٓاْ أَجَلٗا مُّسَمّٗى وَلَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٦٧ ﴾ غافر: ٦٧

الطور الثاني : الطين

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ ۝٢ ﴾ الأنعام: ٢

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ۝١٢ ﴾ الأعراف: ١٢

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ۝١٢ ﴾ المؤمنون: ١٢

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ ﴾ السجدة: ٧

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ۝١١ ﴾ الصافات: ١١

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ۝٧١ ﴾ ص: ٧١

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ۝٧٦ ﴾ مِنْ ص: ٧٦

الطور الثالث : صلصال من حمأ مسنون

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ الحجر: ٢٦

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ الحجر: ٢٨

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ ﴾

الطور الرابع: صلصال كالفخار

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾ الرحمن: ١٤

المرحلة الثانية: خلق ذرية آدم – عليه الصلام –

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ المؤمنون:١٤

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ ﴾ النحل: ٤

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ ﴾ الكهف: ٣٧

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ فاطر: ١١

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ النجم: ٤٦

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ﴾ القيامة: ٣٧

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ الإنسان: ٢

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ عبس: ١٩

نعم الله – تعالى – على الإنسان في نفسه:

أ – تذكير الإنسان بنعمة الله تعالى عليه الذي خلقه في أحسن تقويم ، وعلى خير وجه ، لبيان أحقية المنعم بالعبادة ، وهي ظاهرة بحيث لا يجوز لذي عقل أن يقدم طاعة غير الله عليه ، وهذا احتجاج على الإنسان وتقريع له إذ ترك عبادة الله تعالى وتوجه إلى غيره .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ مَثَلًا النحل: ٧٨

" (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا): خلق الولد في ظلمات ثلاث، وجعل غذاءه بغذاء الأمهات وبقواهن، ثم تقلبه في تلك الظلمات من حال إلى حال: ما لو اجتهد الخلائق أن يعلموا اغتذاءه بغذاء الأمهات، وتقليبه من حال إلى حال، ومن جوهر إلى جوهر – ما قدروا على ذلك؛ فيدل هذا على أن من قدر على هذا، وعلم هذا في تلك الظلمات لقادر على البعث وإعادة الخلق بعد الفناء، وعلْم ما غاب عن الخلق.

ويذكرنا ابتداء أحوالنا أنه أخرجنا من بطون أمهاتنا ونحن لا نعلم شيئًا، ثم صيَّرنا بحال صرنا عالمين أشياء، يذكرنا نعمه ومننه علينا في بلوغنا إلى الأحوال التي صرنا إليها بعدما كنا ما ذكر.

والثاني: يذكرنا أنكم كنتم بالحال التي ذكر؛ لنعلم أنه صيرنا في البطون بلا استعانة بأحد منا ولا عون منه إلى أحد، والله أعلم.

وقوله –عَزَّ وَجَلَّ –: (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ) فمن قدر على جعل السمع حتى يسمع الأصوات ويميز بينها، والبصر ليبصر ويميز بين ألوان الأجسام، والفؤاد ليفهم ويعقل ما له وما عليه، ما لا يدركون ماهية ما به يسمعون ويبصرون ويعقلون، وما به يميزون بين ما ذكرنا فهو قادر على إنشاء الخلق بعد الفناء والإعادة بعد الموت. ثم ذكر على أثر قوله: (لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا): السمع والبصر والأفئدة؛ فذلك يدل على أن هذه الأشياء من أسباب العلم

بالأشياء، بها يوصل إلى العلم بالأشياء؛ فمن أعطي أسباب العلم بالشيء فكأنْ قد أعطي له العلم به، والله أعلم."(١)

وقوله –عَزَّ وَجَلَّ –: (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ).

"لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [النحل: ٧٨] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ مِنْ بَعْدِ مَا أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا تَعْلَمُونَ، فَرَزَقَكُمْ عُقُولًا تَفْقَهُونَ بِهَا وَتُمَيِّزُونَ بِهَا الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ، وَبَصَّرَكُمْ بِهَا مَا لَمْ تَكُونُوا تُبْصِرُونَ، وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ الَّذِي تَسْمَعُونَ بِهِ الْأَصْوَاتَ، فَيَفْقَهُ بَعْضُكُمْ عَنْ بَعْضٍ مَا تَتَحَاوَرُونَ بِهِ بَيْنَكُمْ، وَالْأَبْصَارَ الَّتِي تُبْصِرُونَ بِهَا الْأَشْخَاصَ فَتَتَعَارَفُونَ بِهَا وَتُمَيِّزُونَ بِهَا بَعْضًا مِنْ بَعْضٍ {وَالْأَفْئِدَةَ} [النحل: ٧٨] يَقُولُ: وَالْقُلُوبَ الَّتِي تَعْرِفُونَ بِهَا الْأَشْيَاءَ فَتَحْفَظُونَهَا وَتُفَكِّرُونَ فَتَفْقَهُونَ بِهَا {لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} يَقُولُ: فَعَلْنَا ذَلِكَ بِكُمْ، فَاشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ ذَلِكَ، دُونَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ، فَجَعَلْتُمْ لَهُ شُرَكَاءَ فِي الشُّكْرِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِيمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ نِعَمِهِ شَرِيكٌ. "(٢)

ب – قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الذاريات:

"وَفِي أَنْفُسِكُمْ، أَفَلا تُبْصِرُونَ أي في حال ابتدائها وتنقلها من حال إلى حال، واختلاف ألسنتها وألوانها، وما جبلت عليه من القوى والإرادات، وما بينها من التفاوت في العقول والأفهام، وما في تراكيب أعضائها من الحكم في وضع كل عضو منها، في المحل المفتقر إليه، إلى غير ذلك مما لا يحصيه قلم كاتب، ولا لسان بليغ."(٣)

---

(١) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) ٥٤٥/٦ المحقق: د. مجدي باسلوم الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت، لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م

(٢) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ) تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن١٤ /٣١٥ تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ –٢٠٠١ م

(٣) محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢هـ) محاسن التأويل ٤٠/٩

المحقق: محمد باسل عيون السود

الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى –١٤١٨هـ

" وَالْمَعْنَى: أَلَا تَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ أَنْفُسِكُمْ: كَيْفَ أَنْشَأَكُمُ اللَّهُ مِنْ مَاءٍ وَكَيْفَ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا، أَلَيْسَ كُلُّ طَوْرٍ هُوَ إِيجَادَ خَلْقٍ لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا قَبْلُ. فَالْمَوْجُودُ فِي الصَّبِيِّ لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا فِيهِ حِينَ كَانَ جَنِينًا. وَالْمَوْجُودُ فِي الْكَهْلِ لَمْ يَكُنْ فِيهِ حِينَ كَانَ غُلَامًا وَمَا هِيَ عِنْدَ التَّأَمُّلِ إِلَّا مَخْلُوقَاتٌ مُسْتَجَدَّةٌ كَانَتْ مَعْدُومَةً فَكَذَلِكَ إِنْهَاءُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْمَوْتِ.

وَهَذَا التَّكْوِينُ الْعَجِيبُ كَمَا يَدُلُّ عَلَى إِمْكَانِ الْإِيجَادِ بَعْدَ الْمَوْتِ يَدُلُّ عَلَى تَفَرُّدِ مُكَوِّنِهِ تَعَالَى بِالْإِلَهِيَّةِ إِذْ لَا يَقْدِرُ عَلَى إِيجَادِ مِثْلِ الْإِنْسَانِ غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّ بَوَاطِنَ أَحْوَالِ الْإِنْسَانِ وَظَوَاهِرَهَا عَجَائِبُ مِنَ الِانْتِظَامِ وَالتَّنَاسُبِ وَأَعْجَبُهَا خَلْقُ الْعَقْلِ وَحَرَكَاتِهِ وَاسْتِخْرَاجُ الْمَعَانِي وَخَلْقُ النُّطْقِ وَالْإِلْهَامُ إِلَى اللُّغَةِ وَخَلْقُ الْحَوَاسِّ وَحَرَكَةُ الدَّوْرَةِ الدَّمَوِيَّةِ وَانْتِسَاقُ الْأَعْضَاءِ الرَّئِيسَةِ وَتَفَاعُلُهَا وَتَسْوِيَةُ الْمَفَاصِلِ وَالْعَضَلَاتِ وَالْأَعْصَابِ وَالشَّرَايِينِ وَحَالُهَا بَيْنَ الِارْتِخَاءِ وَالْيُبْسِ فَإِنَّهُ إِذَا غَلَبَ عَلَيْهَا التَّيَبُّسُ جَاءَ الْعَجْزُ وَإِذَا غَلَبَ الِارْتِخَاءُ جَاءَ الْمَوْتُ "(١)

ج- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ عبس: ٢٤ – ٣٢

{فلينظر الإنسانُ إلى طعامه} أي: فلينظر إلى طعامه الذي هو قِوام بدنه، وعليه يدور أمر معاشه، كيف صيَّرناه، {أَنَّا صَبَبْنَا الماءَ} أي: الغيث {صَبًّا} عجيباً، فمَن قرأ بالفتح فبدل اشتمال من الطعام، وبالكسر استئناف. {ثم شققنا الأرضَ} بإخراج النبات، أو: بالحرث، وهو فعل الله في الحقيقة؛ إذ لا فاعل سواه، {شَقًّا} بديعاً لائقاً بما يشقها من النبات، صِغراً أو كِبراً، وشكلاً وهيئة، أو: شقاً بليغاً؛ إذ لا ينبت بمطلق الشق، وإذا نبت لا يتم عادة. و " ثم " للتراخي التي بين الصبّ والشق عادة، سواء قلنا بالنبات أو بالكَراب، وهو الحراثة.

{فأنبتنا فيها حَبًّا} كالبُر والشعير وغيرهما مما يتغذّى به. قال ابن عطية: الحب: جمع حبة . بفتح الحاء، وهو: كل ما يتخذه الناس ويُزَبونه، والحِبة . بكسر الحاء: كل ما ينبت من البذور ولا يُحْفل به ولا هو بمتخَذ. هـ. {وعِنباً} أي: ثمرة الكَرْم، وهذا يؤيد أن المراد بالشق: حفر الأرض بالحرث أو غيره، لأنَّ العنب لا يشق الأرض في نباته، وإنما يغرس عوداً. وقال أبو السعود: وليس من لوازم

(١) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد ٢٦، / ٣٥٣، ٣٥٤، الناشر: الدار التونسية للنشر –تونسية النشر: ١٩٨٤ هـ

العطف أن يقيد المعطوف بجميع ما قيّد به المعطوف عليه، فلا ضرر في خُلُو نبات العنب عن شق الأرض. هـ. {وقَضْباً} وهو كل ما يقضب، أي: يُقطع ليُؤكل رطباً من النبات، كالبقول والهِلْيَوْن ونحوه مما يُؤكل غضاً، وهو جملة النِعَم التي أنعم الله بها، ولا ذكر له في هذه الآية إلاّ في هذه اللفظة. قاله ابن عطية. والهِلْيَوْن . بكسر الهاء وسكون اللام: جمع هليونة، وهو الهِنْدَبا. قاله ابن عرفة اللغوي، وقيل: هو الفِصْفَصَة، وهو ضعيف؛ لأنها للبهائم، وهي داخلة في الأَبّ. وزيتوناً ونخلا} ، الكلام فيهما كما تقدّم في العنب، {وحدائقَ} ؛ بساتين {غُلْباً} : جمع غلباء، أي: غلاظ الأشجار مع نعومتها، وصفَ به الحدائق لتكاثفها وكثرة أشجارها، {وفاكهةً} أي: ما تتفكهون به من فواكه الصيف والخريف، {وأبًّا} أي مرعَى لدوابكم، من: أبَّه: إذا أمَّه، أي قصده، لأنه يُؤم وينتجع، اي: يُقصد، أو: من أب لكذا: إذا تهيأ له؛ لأنه مُتهيأ للرعي، أو: فاكهة يابسة تُؤب للشتاء.

وعن الصِّدِّيق رضي الله عنه أنه سُئل عن الأب، فقال: أيُّ سماء تُظلني، وأيّ أرض تُقلني إذا قلتُ في كتاب الله ما لا علم لي به. وعن عمر رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية، فقال: كل هذا قد عرفناه، فما الأبُّ؟ ثم رفع عصاً كانت بيده، فقال: هذا لعَمْرُ الله التكلُّف، وما عليك يا ابن أمر عمر، ألاّ تدري ما الأبُّ؟ ثم قال: اتبعوا ما تبين لكم وما لا فلتَدعُوه. هـ. وهذه اللفظة من لغات البادية، فلذلك خفيت على الحواضر. {متاعاً لكم ولأنعامكم} أي: جعل ذلك تمتيعاً لكم ولمواشيكم، فإنّ بعض هذه المذكورات طعام لهم، وبعضها علف لدوابهم، و {متاعاً} : مفعول لأجله، أو: مصدر مؤكد لفعله المضمر بحذف الزوائد، أي: متّعكم بذلك متاعاً، والالتفات لتكميل الامتنان، والله تعالى أعلم "(١)

ثانيا: الدعوة إلي الإيمان بالله – تعالى–بدلائل الآيات الكونية:

أ- خلق السماوات والأرض:

الآيات التي تحدثت عن خلق السماوات والأرض في القرآن الكريم:

[البقرة: ١٦٤ –آل عمران: ١٩٠ –آل عمران: ١٩١–الأنعام: ١ الأعراف: ٥٤ –التوبة: ٣٦– يونس: ٣–هود: ٧–إبراهيم: ١٩–النحل: ٣–الإسراء: ٩٩–الكهف: ٥١–الفرقان: ٥٩–النمل: ٦٠–العنكبوت: ٦١–الروم: ٢٢–لقمان: ١٠–الأحقاف: ٣٣–

(١) أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت ١٢٢٤هـ) الكتاب: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ٢٤١/٧، ٢٤٢ المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة الطبعة: ١٤١٩ هـ

الحديد: ٤-التغابن: ٣-]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ البقرة: ١٦٤

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ آل عمران: ١٩٠

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ يُحْمَدُواْ آل عمران: ١٩١

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ الأنعام: ١

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ الأعراف: ٥٤

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ * التوبة: ٣٦

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ يونس: ٣

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾ هود: ٧

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ ﴾ إبراهيم: ١٩

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ النحل: ٣

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ * أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ الإسراء: ٩٩

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ * مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ ﴾ الكهف: ٥١

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۛ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾ الفرقان: ٥٩

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ مَطَرُ النمل: ٦٠

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ العنكبوت: ٦١

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الروم: ٢٢

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ ﴾ لقمان: ١٠

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ لقمان: ٢٥

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأحقاف: ٣٣

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ الحديد: ٤

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ ﴾ التغابن: ٣

خلق السماوات:

السماء مشتقة من سما يسمو، وهي كل ما ارتفع وعلا، والسماء: سقف كل شيء وكل بيت (١)، وتطلق علما على السماء التي تقابل الأرض وتجمع على سنوات.

وورد الاستدلال بخلق السموات في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ البقرة:

"لما ذكر الله -تعالى: أن له ملكَ السماوات والأرض، وأنه على كل شيء قدير، عقبه ببيان أن في خلقهما -من الآيات والشواهد -ما يدل على ذلك ويقرره. فقال تعالى:

{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}: من عجيب الإبداع، وإحكام الصنعة ، وبقائهما في الفضاء، دون أن يختل توازنهما، ودوران كل كوكب في فلكه بانتظام، دون فتور أو اصطدام، وتوالي ملايين الدهور عليهما بغير خلل ولا فساد، وأداء كل جزء منهما، وكل نجم أو كوكب لما نيط به من النافع - إن في هذا: {وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} وتعاقبهما على سطح الأرض، كل منهما خلفًا للآخر،

(١) ابن منظور، لسان العرب ١: ٣٩٧ مادة «سما »

حسب تدبير الله لأرضنا الكروية، إذ جعلها تدور تحت أشعة الشمس، فيعم ضوؤها نصف الأرض المقابل لها، وينعم أهله بنور النهار، فينشطون ويباشرون شئون معاشهم. ويظلم النصف الآخر الذي لا يقابلها، فيسكن أهله ويستريحون. ثم ينعكس الأمر عندما يكون النصف الآخر مقابلا لأشعتها. وهكذا دواليك. ويجوز أن يكون المراد من اختلافهما: تفاوتهما طولا وقصرًا، حسب الفصول الأربعة التابعة لوضع الأرض من الشمس، وحسب البعد عن القطبين أو القرب منهما، أو اختلافهما نفعًا أو حرارة، أو غير ذلك من وجوه الاختلاف "(١)

"وَأَخْبَرَ أَنَّ فِي ذَلِكَ آيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ، ثُمَّ وَصَفَهُمْ عَزَّ وَجَلَّ بِالتَّفَكُّرِ وَالتَّذَكُّرِ فِيمَا ذَكَرَهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْآيَةِ وَمُدَاوَمَةِ ذَلِكَ عَلَى كُلِّ الْأَحْوَالِ الَّتِي يَكُونُ النَّاسُ عَلَيْهَا مِنَ الْقِيَامِ وَالْقُعُودِ وَالِاضْطِجَاعِ (٢)"

خلق الأرض:

تحدثت العديد من آيات القرآن الكريم عن خلق الأرض في قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ البقرة: ١١٧

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ﴾ الأنعام: ١٠١

وإشارة من الخالق جل وعلا إلى حاجة الإنسان الدائمة للأرض، وارتباط معاشه بها، فقد وصف خلق الأرض بأوصاف متنوعة في الآيات الكريمة من ذلك قوله في سورة الرعد﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ الرعد: ٣

---

(١) مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم ٢/٧٢٨ الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) -(١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م) ، الطبري :جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣/ ٢٧٢

(٢) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ) أحكام القرآن الكريم ١/ ٢٣٤ تحقيق: الدكتور سعد الدين أونال الناشر: مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي ، استانبول الطبعة : الأولى١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

، وقوله في سورة الذاريات: ﴿ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ الذاريات: ٤٨

وقوله في سورة نوح ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ ﴾ نوح: ١٩وقوله في سورة النازعات ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ ﴾ النازعات: ٣٠

فكل هذه المدلولات توحي بالمتطلبات الضرورية للإنسان، ففرش الأرض يعني تذليلها بحيث يمكن الاستقرار عليها، ودحو الأرض بسطها

إن خلق الله تعالى للإنسان، والسماوات، والأرض، على ما أراد و قدر على غير مثال سبق ، وما في طيات ذلك الخلق من آيات ودلائل على تفرد الله تعالى بالخلق ، واختصاصه به دون سواه ، و حاكميته له ، كل ذلك يجعل من انتفاء الشريك عنه سبحانه من بداهة العقول ومسلماتها .

ورغم ذلك فإن الله تعالى بعد أن بين دلائل خلقه وأظهر قدرته للناس؛ دعا المشركين إلى التفكر في صنعه، وطالبهم ببيان ما صنعت آلهتهم المزعومة، قال سبحانه ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ لقمان: ١١

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ يونس: ٣٤

وما ذاك الطلب وهذا الاستفهام إلا ليظهر للمشركين وسائر الكفار بالله تعالى عجز تلك المعبودات عن نفع نفس.

المطلب الثاني : خطاب أهل الكتاب :

من هم أهل الكتاب:

أهل الكتاب؟ هم اليهود والنصارى وهم كفار، ومع ذلك يقول الله عنهم: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦ ﴾ العنكبوت: ٤٦

والمعنى أن من ظلم منهم وتعدى وأساء الكلام فإنه ينتقل معه إلى علاج آخر غير الجدال بالتي هي أحسن، كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ ﴾ الشورى: ٤٠

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ ﴾ البقرة: ١٩٤

لكن ما دام المقام مقام تعليم ودعوة وإيضاح للحق، فإنه يكون بالتي هي أحسن؛ لأن هذا أقرب إلى الخير، قال سفيان الثوري رحمه الله: " ينبغي للآمر والناهي أن يكون رفيقا فيما يأمر به، رفيقا فيما ينهى عنه، عدلا فيما يأمر به، عدلا فيما ينهى عنه، عالما بما يأمر به، عالما بما ينهى عنه (١)."

وهذا معنى كلام السلف رحمهم الله، تحري الرفق مع العلم والحلم والبصيرة، لا يأمر ولا ينهى إلا عن علم، لا عن جهل، ويكون مع ذلك رفيقا عاملا بما يدعو إليه، تاركا ما ينهى عنه، حتى يقتدى به.(٢)

وقد ورد في الحديث عن عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه–عن النبي –صلى الله عليه وسلم–أنه قال: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون فمن

(١) الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد– السعودية –، مجلة البحوث الإسلامية – ٢٨/ ١٤ تاريخ النشر ١٤٣٣

(٢) المرجع السابق ١٤/٢٨

جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل "(١)

إن من حكمة القول في دعوة أهل الكتاب إلى الله –تعالى –أن يُجَادَلُوا بالتي هي أحسن، بحسن خلق ولُطْفٍ ولين كلام، ودعوة إلى الحق، وتحسينه بالأدلة العقلية والنقلية، ورد الباطل بأقرب طريق وأنسب عبارة، وأن لا يكون القصد من ذلك مجرد المجادلة والمغالبة وحب العلو، بل لابد أن يكون القصد بيان الحق، وهداية الخلق، كما قال –عز وجل -﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦ ﴾ العنكبوت٤٦

"قوله عز وجل: وَلا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ قال مقاتل: وَلا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ يعني: مؤمنيهم، ثم استثنى كفارهم، فقال: إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ يعني: إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا فيها تقديم، ثم نسخته آية قتال أهل الكتاب. وقال الكلبي: وَلا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إن الله عز وجل أمر المسلمين إذ كانوا بمكة قبل أن يأمرهم بالقتال، فقال: وَلا تُجادِلُوا من أتاكم من أهل الكتاب إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ بالقرآن تعظونهم به، وتدعونهم إلى الإسلام، وهي التي أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ في الملاعنة، وهم أهل نجران. ويقال: لا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ يعني: لا تخاصموهم إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ يعني: إلا بالكلمة التي هي أحسن يعني: كلمة التوحيد إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ يعني: ولا الذين ظلموا منهم. ويقال: إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فلا بأس بأن تجادلوهم بما هو أشد.

ثم بيّن الكلمة التي هي أحسن، فقال: وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ يعني:

القرآن والتوراة. وَإِلهُنا وَإِلهُكُمْ واحِدٌ يعني: ربنا وربكم وَاحِدٌ. وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ يعني: مخلصين بالتوحيد."(٢)

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٥٠) برقم: (٥٠) (كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عَنْ المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص)، (١ / ٥١) برقم: (٥٠) (كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عَنْ المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص) وابن حبان في "صحيحه" (١ / ٤٠٣) برقم: (١٧٧) (كتاب الإيمان، ذكر إطلاق اسم الإيمان على من أتى جزءا من بعض أجزائه)، (١٤ / ٧٢) برقم: (٦١٩٣) (كتاب التاريخ، ذكر البيان بأن الأنبياء كان لهم حواريون يهدون بهديهم بعدهم)

(٢) أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ): بحر العل وم٢/٦.٦

وقال -عز وجل﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾آل عمران

" رجوع إلى المجادلة، بعد انقطاعها بالدعاء إلى المباهلة، بعث عليه الحرص على إيمانهم، وإشارة إلى شيء من زيغ أهل الكتابين عن حقيقة إسلام الوجه لله كما تقدم بيانه. وقد جيء في هذه المجادلة بحجة لا يجدون عنها موئلا وهو دعوتهم إلى تخصيص الله بالعبادة ونبذ عقيدة إشراك غيره في الإلهية. فجملة قل يا أهل الكتاب بمنزلة التأكيد لجملة فقل تعالوا ندع أبناءنا [آل عمران: ٦١] لأن مدلول الأولى احتجاج عليهم بضعف ثقتهم بأحقية اعتقادهم. ومدلول هذه احتجاج عليهم بصحة عقيدة الإسلام، ولذلك لم تعطف هذه الجملة. والمراد بأهل الكتاب هنا النصارى: لأنهم هم الذين اتخذوا المخلوق ربا وعبدوه مع الله.

وتعالوا هنا مستعملة في طلب الاجتماع على كلمة سواء وهو تمثيل: جعلت الكلمة المجتمع عليها بشبه المكان المراد الاجتماع عنده. وتقدم الكلام على (تعالوا) قريبا.

والكلمة هنا أطلقت على الكلام الوجيز كما في قوله تعالى: كلا إنها كلمة هو قائلها [المؤمنون: ١٠٠]" .(١)

دعوة أهل الكتاب بالرفق واللين:

وقد كان النبي –صلى الله عليه وسلم –يستخدم القول الحكيم في دعوته إلى الله –عز وجل –ومن ذلك ما روي: عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ: أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: دَخَلَ رهط*(٢) مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ. قَالَتْ

(١) «التحرير والتنوير» (٣/ ٢٦٨):

(٢) *(رهط) الراء والهاء والطاء أصل يدل على تجمع في الناس وغيرهم. فالرهط: العصابة من ثلاثة إلى عشرة. قال الخليل: ما دون السبعة إلى الثلاثة نفر. وتخفيف الرهط أحسن من تثقيله، انظر (ابن فارس، مقاييس اللغة ٢/٤٥٠) الرهط: العصابة دون العشرة، وقيل: يقال إلى الأربعين، قال: تسعة رهط يفسدون [النمل/ ٤٨]، وقال: ولولا رهطك لرجمناك [هود/ ٩١] ، يا قوم أرهطي [هود/ ٩٢] انظر :الراغب الأصفهانى، المفردات في غريب القرآن ٣٦٧

عَائِشَةُ: فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ قَالَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَهْلًا يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ.

وكان –صلى الله عليه وسلم –يستخدم ذلك حتى في رسائله، ففي كتابه إلى هرقل:

عن عبد الله بن عبّاس–رضي الله عنهما–أنّ أبا سفيان أخبره من فيه إلى فيه. قال: انطلقت في المدّة الّتي كانت بيني وبين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال فبينا أنا بالشّام إذ جيء بكتاب من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى هرقل، يعني عظيم الرّوم ... الحديث () وفيه: ثمّ دعا بكتاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقرأه. فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمّد رسول الله إلى هرقل عظيم الرّوم، سلام على من اتّبع الهدى، أمّا بعد فإنّي أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرّتين، وإن تولّيت فإنّ عليك إثم الأريسيّين (*١(١)٠ قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً، وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (آل عمران/ ٦٤) ، فلمّا فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده، وكثر اللّغط. وأمر بنا فأخرجنا. قال: فقلت لأصحابي حين خرجنا: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة (**)(٢) إنّه ليخافه ملك بني الأصفر (٣)(***) قال: فما زلت موقنا بأمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنّه سيظهر، حتّى أدخل الله عليّ الإسلام) "(٤)

المطلب الثالث : خطاب المنافقين

تعريف النفاق لغة واصطلاحا:

أ تعريف النفاق لغة:

(١) (*) الأريسيين: هم الأكارون أي الفلاحون والزارعون.

(٢) (**) لقد أمر أمر ابن أبي كبشة: أما أمر فبفتح الهمزة وكسر الميم، أي عظم. وأما قوله: ابن أبي كبشة، فقيل: هو رجل من خزاعة كان يعبد الشعرى، ولم يوافقه أحد من العرب في عبادتها. فشبهوا النبي صلّى الله عليه وسلّم به لمخالفته إياهم في دينهم، كما خالفهم أبو كبشة، انظر: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ –٢٦١ هـ) صحيح مسلم ٣/٣٩٣ المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة عام النشر: ١٣٧٤ هـ –١٩٥٥ م

(٣) (***) بني الاصفر؟ – يعني الروم–.

(٤) «صحيح البخاري» (٦/ ٣٥ ط السلطانية): [تعليق مصطفى البغا]

" سُمِّيَ المنافقُ مُنافقاً للنَّفَق وَهُوَ السَّرَب فِي الأَرض، وَقِيلَ: إِنَّمَا سُمِّيَ مُنافقاً لأَنه نافَقَ كَالْيَرْبُوعِ [*] وَهُوَ دُخُولُهُ نَافِقَاءَهُ. يُقَالُ: قَدْ نَفَقَ بِهِ ونافَقَ، وَلَهُ جُحْرٌ آخَرُ يُقَالُ لَهُ القاصِعاء، فَإِذَا طلِبَ قَصَّع فَخَرَجَ مِنَ القاصِعاء، فَهُوَ يَدْخُلُ فِي النافِقاء وَيَخْرُجُ مِنَ القاصِعاء، أَوْ يَدْخُلُ فِي القاصِعاء وَيَخْرُجُ مِنَ النافِقاء، فَيُقَالُ هَكَذَا يَفْعَلُ المُنافق، يَدْخُلُ فِي الإِسلام ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ."(١)

وفي تعريف آخر:

"() النِّفاقُ لُغةً: مُخالفةُ الباطِنِ للظَّاهِرِ، مأخوذٌ مِن نافقاءِ اليربوعِ؛ لأنَّه يدخُلُ من بابٍ ويخرُجُ من بابٍ، فقيل للمنافِقِ: (مُنافِقٌ)؛ لأنَّه يخرُجُ مِنَ الإسلامِ مِنْ غير الوَجهِ الذي دَخَلَ فيه؛ وذلك أنَّه دخَلَ عَلانِيةً وخرج سِرًّا، وأصلُ (نفق): يدُلُّ على إخفاءِ شَيءٍ وإغماضِه "

ب -النفاق اصطلاحا:

القَولُ أو الفِعلُ بخِلافِ ما في القَلبِ مِن الاعتقادِ، والمُنافِقُ هو الذي يَستُرُ كُفرَه ويُظهِرُ إيمانَه، وهو اسمٌ إسلاميٌّ لم تعرِفْه العَرَبُ بالمعنى المخصوصِ به، وإن كان أصلُه في اللُّغةِ معروفًا (٢)

وقد وصَفَهم اللهُ بالكَذِبِ كما وصف المؤمنين بالصِّدقِ، فقال: وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ [البقرة:١٠].

قال البغوي: (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: مؤلمٌ يخلُصُ وجَعُه إلى قلوبِهم، بِمَا كَانُوا يُكَذِّبُونَ ما للمصدر، أي: بتكذيبِهم اللهَ ورسولَه في السِّرِّ، وقرأ الكوفيون: يَكْذِبونَ بالتخفيفِ، أي: بكَذِبِهم؛ إذ قالوا: آمَنَّا، وهم غيرُ مؤمنين) (٣)

بيان طرق استخدام المنهج العقلي في خطاب المنافقين:

عندما تنتصر الدعوة إلى الله في المجتمع الكافر وتعلو كلمة الله، ويدخل الناس في دين الله أفواجًا، وتستأصل قوة الكفر، ويذهب سلطان الكافرين، وتكون القوة والمنعة للمسلمين، عند ذاك يمكن أن

(١) لسان العرب –فصل النون، ١٠/ ٣٥٩

[*] اليربوع ويُسَمَّى الجَربوعَ: دابَّةٌ على هيئةِ الفأرِ وأكبَرُ منه، وله ذَنَبٌ طويلٌ، قَصيرُ اليَدينِ طَويلُ الرِّجلينِ، يأكلُ النباتَ والحَشَراتِ. يُنظر: ((تاج العروس)) للزبيدي (٢١/٤٥)، ((معجم اللغة العربية المعاصرة)) لأحمد مختار عمر (٢/٨٥٠). عبد اللطيف عاشور موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي –باب الياء –ص٤١٩.

(٢) ينظر: ((سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد)) للصالحي (٣/٤١٦)، ((عارضة الأحوذي)) (١٠/٧١)، ((نواقض الإيمان الاعتقادية)) للوهيبي (ص:

(٣) ((تفسير البغوي)) (١/ ٨٨).

يوجد المنافقون الذين لم يؤمنوا مع المؤمنين، ولم يبقوا على كفرهم ظاهرين معروفين مع الكافرين، خوفًا من سطوة المسلمين، فيبطنوا الكفر ويظهروا الإسلام. وعلى هذا فالنفاق لا يوجد إذا كانت الغلبة والسطوة والسلطة للكفار؛ لأنه لا خوف في هذه الحالة من إظهار الكفر والتمرُّد على الإسلام ولهذا لم يكن أحد من المسلمين منافقًا في مكة قبل الهجرة إلى المدينة؛ لأنَّ المسلمين كانوا قلة مستضعفين لا حول لهم ولا قوة ولا سلطان، وإنما السلطان لكفار قريش، ولكن بعد أن هاجر النبي -صلى الله عليه وسلم-والمسلمون إلى المدينة، وصار للمسلمين قوة وسلطان، وانتشر الإسلام في المدينة، ظهر النفاق والمنافقون. (١)

بيان أساس النفاق وعلاماته الظاهرة:

إن أساس النفاق الذي بني عليه هو الكذب، وأن يقول الرجل بلسانه ما ليس في قلبه والدليل على هذا ما ورد في الحديث الشريف:

"عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ."(٢)

والفارق بين المؤمن والمنافق هو الصدق فإن أساس النفاق الذي يبنى عليه هو الكذب؛ ولهذا إذا ذكر الله حقيقة الإيمان نعته بالصدق كما في قوله تعالى ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـٔاًۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥ ﴾ الحجرات: ١٤ -١٥

يقول الإمام الألوسي في تفسير هذه الآية:

وَإِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا بيان لدأب المنافقين وأنهم إذا استقبلوا المؤمنين دفعوهم عن أنفسهم بقولهم آمنا استهزاء فلا يتوهم أنه مكرر مع أول القصة لأنه إبداء لخبثهم ومكرهم وكشف عن إفراطهم في الدعارة وادعاء أنهم مثل المؤمنين في الإيمان الحقيقي وأنهم أحاطوه من جانبيه على

(١) د / عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة ٣٩٦-٣٩٧، مؤسسة الرسالة -الطبعة: التاسعة ١٤٢١ هـ-٢٠٠١ م بيروت -لبنان

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٦) برقم: (٣٣) (كتاب الإيمان، باب علامة المنافق) ومسلم في "صحيحه" (١ / ٥٦) برقم: (٥٩) (كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق)

أنه لو لم يكن هذا لا ينبغي أن يتوهم تكرار أيضا لأن المعنى– ومن الناس من يتفوه بالإيمان نفاقا للخداع– وذلك التفوّه عند لقاء المؤمنين وليس هذا من التكرار بشيء لما فيه من التقييد وزيادة البيان وأنهم ضموا إلى الخداع الاستهزاء، وأنهم لا يتفوهون بذلك إلا عند الحاجة "(١)

"إن القرآن يعرض النفاق كطبيعة منحرفة وسلوك مريض، ويشخص هذا المرض ويحلله ويتحدث عنه باستفاضة وعن مضاعفاته ونتائجه، وقصده من ذلك التحذير منه، ومن النتائج الخطيرة التي تترتب عليه، فهي نتائج تصيب الإنسان في وجوده الذي يرتبط بالصدق والحرية والتجدد، فيتحول وجوده إلى زيف وجمود وهراء "(٢)

بيان الحالة النفسية التي يكون عليها المنافق:

يقول الدكتور عبدالكريم الخطيب في تفسير قوله تعالى ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ ﴾ النساء: ٨٩

يعيش المنافق في صحبة شعور مزعج، وهو أنه يحمل جريمة، يحاول إخفاءها عن الناس، ولكن عيون الناس تتبعه حيث كان، تبحث عن هذا الشيء الذي يخفيه، ويبالغ هو في ألا يراه أحد. هكذا هو أبدا مع هذا الشعور المتسلط عليه.

وقد يكون الناس في غفلة عنه، وفى غير التفات إليه، ولا مراقبة له، ومع هذا فإن الجريمة التي يحملها معه، لا تدع له سبيلا إلى الاطمئنان والهدوء، بل تراه دائما على حذر، يرصد الناس، ويسترق النظر إليهم، بل يكاد يسألهم:

---

(١) شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/ ١٥٨): المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

(٢) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم ١٣١/١: المؤلف: عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة الطبعة: الرابعة

عم يبحثون؟ وماذا يريدون؟ وما هي الجريمة؟ ومن المجرم؟ وفيه يصدق المثل الذي يقول: «يكاد المريب يقول: خذونى»!(١)

"إن المنافق أشبه بمجرم في قفص الاتهام. والمجتمع الذي يعيش فيه هو الذي يحاكمه، ويحاصره، ويأخذ عليه كل سبيل للإفلات من تلك النظرات المتهمة له، الفاضحة لجرمه. ومن هنا يقوم في كيان المنافق شعور آخر، يواجه به شعور الخوف والقلق الذي يستولى عليه، من إحساسه بمراقبة الناس له، واطلاعهم على خبيئة أمره، وفضحهم لخفى نفاقه-هذا الشعور الآخر، هو الرغبة في أن يرى الناس جميعا من حوله، صورة منه. فلا يلقون أنظارهم إليه، ولا يلتفت هو إليهم، ولا يحاول أن يستر فعلته عنهم، إذ كانوا جميعا على شاكلته.

فإن المجرم بين المجرمين، لا يستحى أن يكشف عن جرائمه، بل وربما بالغ فيها، ليرى أصحابه منه أنه عريق في الإجرام، يستأهل مكان الصدارة في المجرمين! ومن هنا كان المنافقون يسعون دائما إلى إفساد المؤمنين وإغوائهم، وتزيين النفاق لهم، وتحبيب الكفر إليهم، ليكونوا معهم في هذا البلاء، وليقتسموا المحنة التي يعيشون بين المجتمع فيها! قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ أَتُرِيدُونَ النساء: ٨٩ -ما يكشف عن هذا الشعور الذي يحرك المنافقين إلى إفساد المؤمنين، ليؤنسوا وحشتهم، وليفكوا قيدهم الذي يمسك بهم في محيط محدود لا يتجاوزونه! حتى إذا امتلأت الأرض نفاقا، كان لهم أن يسرحوا ويمرحوا كيف يشاءون، وأن يظهروا ما ستره النفاق منهم، من كفر وإلحاد. ولهذا جاء التعبير القرآني:

«ودوا لو تكفرون كما كفروا» بديلا مما يقضى به الظاهر وهو: «ودوا لو تنافقون كما نافقوا»، لأن النفاق يستر وراءه الكفر. فجاء التعبير القرآني فاضحا هذا الكفر المستتر وراء النفاق."(٢)

وقد تحدث الإمام ابن قيم الجوزية عن صفات المنافقين وخطرهم فقال:" فإن النفاق هو الداء العضال الباطن الذي يكون الرجل ممتلئا منه، وهو لا يشعر. فإنه أمر خفي على الناس. وكثيرا ما يخفى على من تلبس به فيزعم أنه مُصلح وهو مفسد.

---

(١) عبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد ١٣٩٠ هـ) «التفسير القرآني للقرآن» (٣/ ٨٥٨): الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة

(٢) «التفسير القرآني للقرآن» (٣/ ٨٥٨)

وهو نوعان: أكبر، وأصغر. فالأكبر: يوجب الخلود في النار في دركها الأسفل. وهو أن يظهر للمسلمين إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. وهو في الباطن منسلخ من ذلك كله مكذب به. لا يؤمن بأن الله تكلم بكلام أنزله على بَشر جعله رسولا للناس، يهديهم بإذنه. وينذرُهم بأسهَ، ويخوفهم عقابه.

وقد هتك الله سبحانه أستار المنافقين، وكشف أسرارهم في القرآن، وجلى لعباده أمورَهم ليكونوا منها ومن أهلها على حذر، وذكر طوائف العالم الثلاثة في أول سورة البقرة: المؤمنين، والكفار، والمنافقين. فذكر في المؤمنين أربع آيات، وفي الكفار آيتين، وفي المنافقين ثلاث عشرة آية.

لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم، وشدة فتنتهم على الإسلام وأهله، فإن بلية الإسلام بهم شديدة جدا، لأنهم منسوبون إليه، وإلى نصرته وموالاته، وهم أعداؤه في الحقيقة، يخرجون عداوته في كل قالب، يظن الجاهلُ أنه عِلْم وإصلاح وهو غاية الجهل والإفساد.

فلله كم من معقل للإسلام قد هدموه؟! وكم من حِصْن له قد قلعوا أساسه وخربوه؟! وكم من عَلمٍ له قد طمسوه؟! وكم من لواء له مرفوع قد وضعوه؟! وكم ضربوا بمعاول الشبَهِ في أصول غراسه ليقلعوها؟! وكم عمّوا عيون موارده بآرائهم ليدفنوها ويقطعوها؟! فلا يزالُ الإسلام وأهلهُ منهم في محنةٍ وبلية، ولا يزال يطرقهُ من شبُهِهِمْ سرية بعد سرية. ويزعمون أنهم بذلك مُصلحون {أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ} [البقرة: ١٢] {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [الصف: ٨] اتفقوا على مفارقة الوحي. فهم على ترك الاهتداء به مُجتمعون {فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} [المؤمنون: ٥٣] {يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا} [الأنعام: ١١٢] ولأجل ذلك {اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا} [الفرقان: ٣٠] درست معالمُ الإيمان في قلوبهم فليسوا يعرفونها. ودَثرَتْ معاهدُه عندهم فليسوا يعمرونها، وأفلَتْ كواكبُه النيرةُ من قلوبهم فليسوا يُحيُونهَا، وكسفَتْ شمسُه عند اجتماع ظُلم آرائهم وأفكارهم فليسوا يبصرونها. لم يقبلوا هدى الله الذي أرسَل به رسوله. ولم يرفعوا به رأسا، ولم يروا بالإعراض عنه إلى آرائهم وأفكارهم بأسا. خلعوا نصوص الوحي عن سلطنة الحقيقة. وعَزَلوها عن ولاية اليقين، وشنوا عليها غاراتِ التأويلات الباطلة، فلا يزال يخرج عليها منهم كمين بعد كمين." (١)

النموذج المثالي لكيفية التعامل مع المنافقين:

(١) **محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) صفات المنافقين: ٣-٥، الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات عام النشر: ١٤١٠ هـ**

[من الهدي النبوي]

١- [عبر المحنة:]

"موقعة أحد فياضة بالعظات الغوالي والدروس القيّمة، وقد نزلت في أدوارها وحوادثها ونتائجها آيات طوال، وكان لها في نفس الرسول عليه الصلاة والسلام أثر عميق، ظلّ يذكره إلى قبيل وفاته، كانت امتحانا ثقيل الوطأة، محّص السرائر، ومزّق النقاب عن مخبوئها، فامتاز النفاق عن الإيمان، بل تميّزت مراتب الإيمان نفسه، فعرف الذين ركلوا الدنيا بنعالهم فلم يعرّجوا على مطمع من مطامعها، والذين مالوا إليها بعض الميل، فنشأ عن أطماعهم التافهة ما ينشأ عن الشرر المستصغر من حرائق مروّعة.

بدأت المعركة بانسحاب ابن أبي (*)(١)، وهو عمل ينطوي على استهانة بمستقبل الإسلام وغدر به في أحرج الظروف، وتلك أبرز خسائس النفاق.

والدعوات-إبّان امتدادها وانتصارها-تغري الكثيرين بالانضواء تحت لوائها، فيختلط المخلص بالمغرض، والأصيل بالدخيل. وهذا الاختلاط مضرّ أكبر الضرر بسير الرسالات الكبيرة وإنتاجها.

ومن مصلحتها الأولى أن تصاب برجّات عنيفة، تعزل خبثها عنها، وقد اقتضت حكمة الله أن يقع هذا التمحيص في أحد: ما كانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلى ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَما كانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ [ال عمران: ١٧٩] .

فالجبن والنكوص هما اللذان كشفا عن طوية المنافقين، فافتضحوا أمام أنفسهم وأمام الناس قبل أن تعلن عن نفاقهم السماء.

فإذا تجاوزت السفوح التي يدبّ عليها أولئك المنافقون، وثبت إلى ذرا شامخة للإيمان البعيد الغور، النقيّ العنصر، يتمثل في مرحلة الهجوم المظفر الذي ابتدأ به القتال، ثم في مرحلة الدفاع النبيل الهائل الذي حمل المسلمون عبئه عند ما ارتدت الكرة للمشركين، ورجحت كفتهم.

---

(١) (*) عبْد اللَّهِ بْن أَبِي ابْن سلول الأَنْصَارِيّ، من بني عوف ابْن الخزرج. وسلول امرأة من خزاعة هي أم أَبِي بن مالك [بن الحارث ابن عُبَيْد] بْن سَالِم بْن غنم بْن عَمْرو بْن الخزرج، وَكَانَ رأس المنافقين، وممن تولى كبر الإفك فِي عَائِشَة انظر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/٩٤٠) المحقق: علي محمد البجاوي الناشر: دار الجيل، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢ م

إن الرجال الذين يكتبون التاريخ بدمائهم، ويوجّهون زمامه بعزماتهم؛ هم الذين صلوا هذه الحرب، وحافظوا بها مصير الإسلام في الأرض "(١)

٢-موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من قتل رأس المنافقين [ابن سلول] :

يظهر بجلاء عظمة الرسول في استخدام المنهج العقلي في إدارة الموقف الصعب على النحو التالي: «قال ابن اسحاق: حدثني عاصم بن عمرو بن قتادة أن عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول أتى رسول الله (ص) فقال: يا رسول الله! إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه فإن كنت فاعلا فمر لي به فأنا أحمل إليك رأسه. فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبر بوالده مني. وإني أخشى أن تأمر غيري فيقتله. فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله، فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار. فقال رسول الله (ص): ((بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا))). وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه يعنفونه. فقال رسول الله (ص) حين بلغه ذلك من شأنهم: ((كيف ترى يا عمر أما والله لو قتلته يوم قلت لي لأرعدت له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته))). فقال عمر: قد والله علمت لأمر رسول الله (ص) أعظم بركة من أمري) (٢)(. فالتربية النبوية الحكيمة للرعيل المسلم الأول من خلال عظمة التعامل مع ابن أبي هي التي حولت رهط ابن أبي من أنوف ترعد وتثأر له إلى أنوف لو أمرها رسول الله (ص) بقتله لقتله. (٣)

المطلب الرابع : خطاب الملأ :

أولا : تعريف الملأ في اللغة والاصطلاح

أ – تعريف الملأ لغة:

(الْمَلَأُ) الْجَمَاعَةُ وَهُوَ الْخُلُقُ أَيْضًا وَجَمْعُهُ (أَمْلَاءٌ)(٤)

(١) محمد الغزالي السقا (ت ١٤١٦هـ) فقه السيرة (ص ٢٦٥-٢٦٦): الناشر: دار القلم – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: (٢/٢٩٣)

(٣) د/ منير محمد الغضبان (ت ١٤٣٥هـ) فقه السيرة النبوية (٧١٦) الناشر: جامعة أم القرى الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ -١٩٩٢ م

(٤) زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ) «مختار الصحاح» (ص٢٩٧المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

"ملأ: الملأ: جماعةٌ من النّاس يجتمعون ليتشاوروا ويتحادثوا، والجميع: الأَمْلاء، قال:

وقال لها الأَمْلاءُ من كل مَعْشَرٍ ... وخيرُ أقاويلِ الرِّجالِ سَديدُها ومالأتُ فلاناً على الأمر، أي: كنت معه في مشورته. والممالأَة: المعاونة: مالأت على فلان، أي: عاونت عليه. ويقال: ما كان هذا الأمرُ عن ملأٍ منّا، أي: عن تشاور واجتماع. والمَلْءُ: من الامتلاء، والمِلءُ: الاسم، ملأته فامتلأ، وهو ملآنٌ مملوءٌ مُمْتلِيءٌ مَلِيءٌ. وشاب مالىء العين حسنا"(١)

ب-*تعريف الملأ اصطلاحا:*

"يَسْتَعمل القرآن الكريم كلمة "الملأ" في قصصه عن الرسل الكرام وما جرى لهم مع أقوامهم، "والملأ" كما يقول المفسرون: هم أشراف القوم وقادتهم ورؤساءهم وساداتهم(٢)، فهم إذن البارزون في المجتمع وأصحاب النفوذ فيه، الذين يعتبرهم الناس اشرافًا وسادة، أو يُعْتَبرون حسب مفاهيم المجتمع وقيمه أشراف المجتمع وسادته، ومن ثَمَّ يستحقون -في عرف الناس- قيادة المجتمع والزعامة والرئاسة فيه، وقد يباشرون ذلك فعلًا، وإطلاق كلمة الملأ على هؤلاء في القرآن الكريم بهذا المعنى هو من قبيل بيان الواقع، لا من قبيل بيان استحقاقهم فعلًا للشرف والسيادة والقيادة والرئاسة، ويشبه هذا الإطلاق ما ورد في رسائل النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى رؤساء فارس والروم ومصر، فقد جاء في بعض هذه الرسائل مخاطبة الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- إلى رئيس الروم بعبارة: "إلى عظيم الروم"، فإطلاق هذه العبارة على رئيس الروم من قبيل بيان واقعه، وهو أنه عظيم في نظر الروم لرئاسته لهم، وليس بيانًا لاستحقاقه هذا الوصف."(٣)

موقف الملأ من الدعوة إلى الله:

الوصف الغالب على الملأ من كل قوم معاداتهم للدعوة إلى الله تعالى

«فقد قاوموا دعوة الرسل الكرام إلى الله تعالى، وكانوا هم الذين يتولَّوْن كبر المقاومة الأثيمة للدعوة إلى الله، ويقودون حملة الكذب والافتراء والتضليل ضدَّ أنبياء الله تعالى، يدل على ذلك قول ربنا - تبارك وتعالى﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٣٥ وَنَجۡعَلَ سبأ: ٣٤ -٣٥

(١) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ) «العين» (٨/ ٣٤٦) المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال

(٢) ١ تفسير القرطبي ج٣ ص٢٣٤، ٢٢٣، ج١٢ ص١٢١، تفسير ابن كثير ج٢ ص٢٢٣

(٣) أصول الدعوة (ص٣٨٠)

وقد ذكرت كلمة "الملأ في القرآن في مواضع عدة ، منها : "

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ ﴾ الأعراف: ٦٠

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ الأعراف: ٦٦

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ الأعراف: ٧٥

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ الأعراف: ٨٨

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ الأعراف: ٩٠

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ الأعراف: ١٢٧

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ هود: ٢٧

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ يوسف: ٤٣

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ٱلَّذِى القصص: ٢٠

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ۖ فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ القصص: ٣٨

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦ ﴾ ص:

" وفي عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – كان الملأ لهم دور في الصد عن هذه الدعوة، وأيضاً مساندة هذه الدعوة، فنجد أن وجود أبي طالب عم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان له دور في حماية الرسول – صلى الله عليه وسلم –، كما كان في المقابل من الملأ من يحارب الرسول ويعاديه مثل عتبة بن ربيعة وأبي جهل وأمية وأبي لهب وغيرهم من زعماء المشركين، وبهذا كانت دعوة الملأ من أهم الدعوات؛ لأنه باستجابتهم سيستجيب معهم خلق كثير، ويكف عن الإسلام شرهم."(١)

أبرز صفات الملأ:

أولًا: الكبر: الكبر خلق ذميم وآفة عظيمة مستقِرَّة في النفس، وتظهر آثاره في الخارج بأشكال مختلفة، ومواقف متعددة، ومن آثاره: عدم رؤية الحق في غالب الأحيان، أو رؤيته ولكنَّ الكبر يمنع من الاعتراف به والانقياد، ومن الآيات الدالة على صفة الكبر في الملأ، وما أدَّت إليه من نتائج غاية في السوء والقبح ما جاء في القرآن الكريم في وصف فرعون والملأ من قومه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤ ﴾ النمل: ١٤

يقول الإمام النسفي:

"{وَجَحَدُواْ بِهَا} قيل الجحود لا يكون إلا من علم من الجاحد وهذا ليس بصحيح لأن الجحود هو الإنكار وقد يكون الإنكار للشيء للجهل به وقد يكون بعد المعرفة تعنتا كذا ذكر في الشرح التأويلات وذكر في الديوان يقال جحد حقه وبحقه بمعنى والواو في {واستيقنتها} للحال وقد بعدها مضمرة والاستيقان أبلغ من الإيقان {أَنفُسِهِمْ} أي جحدوا بألسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم {ظُلْماً} حال من الضمير في جحدوا وأي ظلم أفحش من ظلم من استيقن أنها آيات من عند الله ثم سماها سحراً بيناً {وَعُلُوّاً} ترفعاً عن الإيمان بما جاء به موسى {فانظر كَيْفَ كَانَ عاقبة المفسدين} وهو الإغراق هنا والإحراق ثمة»"(٢)

---

(١) د عبد العزيز بن محمد بن سعود الكبير، منهج الصحابة في دعوة المشركين من غير أهل الكتاب (٢١٩) الناشر: دار الرسالة العالمية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م

() النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل» (٢/ ٥٩٤)

ثانيًا: حب الرياسة والجاه:

«الملأ» يحبون الرياسة والجاه والتسلط على رقاب العباد، ولذلك فهم يعارضون كل دعوة تسلبهم مكانتهم بين الناس وتجعلهم تابعين كبقية الناس، وهم يتصوَّرون أنّ قبولهم الدعوة إلى الله يسلبهم جاههم وسلطانهم، ولذلك يقاومونها ويعادونها ويأتون بالأباطيل لتبرير عداوتهم، ومن الآيات الدالة على حبهم للرياسة والجاه، وأنّ هذ الحب كان من أسباب رفضهم دعوة الحق إلى الله تعالى وأن أتباع الأنبياء هم الفقراء والمساكين ،وهذا ما حدث من قوم نوح عليه السلام قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ هود: ٢٧

يقول الإمام الماوردي:

"قوله عز وجل :وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَك إِلاّ الَّذينَ هُمْ أَرَاذِلُنا {الاراذل جمع أرذل , وارذل جمع رذل , والرذل الحقير , وعنوا بأراذلهم الفقراء وأصحاب المهن المتضعة} .باديَ الرأي {أي ظاهر الرأي , وفيه ثلاثة اوجه :احدها: إنك تعمل بأول الرأي من غير فكر , قاله الزجاج .الثاني :أن ما في نفسك من الرأي ظاهر , تعجيزاً له , قال ابن شجرة .الثالث :يعني ان أراذلنا اتبعوك بأقل الرأي وهم إذا فكروا رجعوا عن اتباعك , حكاه ابن الأنباري} .وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنا مِن فَضْلٍ {يحتمل وجهين .أحدهما :من فضل تفضلون به علينا من دنياكم .والثاني :من فضل تفضلون به علينا في أنفسكم."(١)

ثالثًا: الجهالة:

«الملأ» غارق في الجهالة ولا يشعر بجهالته، فهو يكفر بربه ويردّ دعوته الكريمة التي بعث بها رسله إلى الناس، ويصفها بأنها ضلال، ويرمي مبلغيها وهم الرسل الكرام بالسفاهة وخفة العقل، ومن الآيات التي وردت تصف هذه الحالة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا

(١) أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ) ، النكت والعيون(٤٦٥/٢) المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان

وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخۡرَجُونَ ٣٥ ۞ هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ٣٦ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ٣٧ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا وَمَا نَحۡنُ لَهُۥ بِمُؤۡمِنِينَ ٣٨ ﴾ المؤمنون: ٣٣ – ٣٨

يقول الإمام البغوي:

"{وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ} أَيِ الْمَصِيرِ إِلَى الْآخِرَةِ، {وَأَتْرَفْنَاهُمْ} نَعَّمْنَاهُمْ وَوَسَّعْنَا عَلَيْهِمْ، {فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ} أَيْ: مِمَّا تَشْرَبُونَ مِنْهُ. {وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ} لَمَغْبُونُونَ. {أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ} مِنْ قُبُورِكُمْ أَحْيَاءً وَأَعَادَ "أَنَّكُمْ" لَمَّا طَالَ الْكَلَامُ، وَمَعْنَى الْكَلَامِ: أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا مُخْرَجُونَ؟ وَكَذَلِكَ هُوَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ، نَظِيرُهُ فِي الْقُرْآنِ: "أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا" (التَّوْبَةِ –٦٣). {هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ} قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هِيَ كَلِمَةُ بُعْدٍ، أَيْ: بَعِيدٌ مَا تُوعِدُونَ، قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ "هَيْهَاتِ هَيْهَاتِ" بِكَسْرِ التَّاءِ، وَقَرَأَ نَصْرُ بْنُ عَاصِمٍ بِالضَّمِّ، وَكُلُّهَا لُغَاتٌ صَحِيحَةٌ فَمَنْ نَصَبَ جَعَلَهُ مِثْلَ أَيْنَ وَكَيْفَ، وَمَنْ رَفَعَ جَعَلَهُ مِثْلَ مُنْذُ وَقَطُّ وَحَيْثُ، وَمَنْ كَسَرَ جَعَلَهُ مِثْلَ أَمْسِ وَهَؤُلَاءِ، وَوَقَفَ عَلَيْهَا أَكْثَرُ الْقُرَّاءِ بِالتَّاءِ، وَيُرْوَى عَنِ الْكِسَائِيِّ الْوَقْفُ عَلَيْهَا بِالْهَاءِ. {إِنْ هِيَ} يَعْنُونَ الدُّنْيَا، {إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا} قِيلَ فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، أَيْ: نَحْيَا وَنَمُوتُ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُنْكِرُونَ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ. وَقِيلَ: يَمُوتُ الْآبَاءُ وَيَحْيَا الْأَبْنَاءُ. وَقِيلَ: يَمُوتُ قَوْمٌ وَيَحْيَا قَوْمٌ. {وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ} بِمُنْشَرِينَ بَعْدَ الْمَوْتِ. {إِنْ هُوَ} يَعْنِي الرَّسُولَ، {إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ} بِمُصَدِّقِينَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ."(١)

وكذلك كان موقف الملأ من قريش من دعوة رسول الله –صلى الله عليه وسلم، قاوموا هذه الدعوة المباركة، وآذوا رسول الله –صلى الله عليه وسلم، ورموه بالكذب، وتآمروا به، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ

(١) أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠هـ) معالم التنزيل في تفسير القرآن (٤١٧/٥) ، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش ،الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م

هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ۝٧ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۖ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ۝٨ ﴾ ص: ٦ – ٨

نماذج من الهدي النبوي في استخدام المنهج العقلي في خطاب الملأ:

إن في السيرة النبوية الشيء الكثير عن موقف الملأ من قريش وغيرهم من الدعوة إلى الله، التي بلغهم إياها الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم، فنجد السادة من قريش وقادتها ورؤساؤها وكبراؤها، قالوا لقومهم: استمرّوا على دينكم ولا تستجيبوا لما يدعوكم إليه محمد –صلى الله عليه وسلم–من التوحيد، فقد ذكره ابن هشام في سيرته

أ- عرض رسول الله –صلى الله عليه وسلم–نفسه على القبائل:

عرض نفسه في المواسم: قال ابن إسحاق: ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة: وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه، إلا قليلا مستضعفين ممن آمن به. فكان رسول الله –صلى الله عليه وسلم–يعرض نفسه في المواسم، إذا كانت، على قبائل العرب يدعوهم إلى الله، ويخبرهم أنه نبي مرسل، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين لهم ما بعثه به الله.

قال ابن إسحاق: فحدثني من أصحابنا، من لا أتهم، عن زيد بن أسلم عن ربيعة بن عباد الديلي، أو من حدثه أبو الزناد عنه قال ابن هشام: ربيعة بن عباد.

قال ابن إسحاق: وحدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، قال سمعت ربيعة بن عباد، يحدثه أبي، قال: إني لغلام شاب مع أبي بمني، ورسول الله –صلى الله عليه وسلم–يقف على منازل القبائل من العرب، فيقول: يا بني فلان، إني رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي، وتصدقوا بي، وتمنعوني، حتى أبين عن الله ما بعثني به. قال: وخلفه رجل أحول وضيء، له غديرتان (١) عليه حلة عدنية. فإذا فرغ رسول الله –صلى الله عليه وسلم–من قوله وما دعا إليه، قال ذلك الرجل: يا بني فلان، إن هذا إنما يدعوكم أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم، وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أقيش، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تطيعوه، ولا تسمعوا منه.

قال: فقلت لأبي: يا أبت، من هذا الذي يتبعه ويرد عليه ما يقول؟ قال هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب، أبو لهب."(٢)

(١) غديرتان: "ذؤابتان من شعر»
(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٥٠)

ب- موقف الرسول من طلب عمه (أبي طالب) بالتوقف عن الدعوة:

وفي السّنة الرّابعة من مبعثه صلى الله عليه وسلم: نزل قوله تعالى:﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ الحجر: ٩٤

فامتثل صلى الله عليه وسلم أمر ربّه، وأظهر الدّعوة إلى الله تعالى، فدخل النّاس في الإسلام أرسالا، حتّى فشا ذكر الإسلام ب (مكّة) ، ولكن كان المسلمون إذا أرادوا الصّلاة ذهبوا إلى الشّعاب، واستخفوا من قومهم بصلاتهم.

ولمّا أظهر صلى الله عليه وسلم دعوة الخلق إلى الحقّ لم يتفاحش إنكار قومه عليه، حتّى ذكر آلهتهم وسبّها، وضلّل آباءهم، وسفّه أحلامهم، فحينئذ اشتدّ ذلك عليهم، وأجمعوا له الشّرّ، فحدب عليه عمّه أبو طالب، وعرّض نفسه للشّرّ دونه، مع بقائه على دينه.

فلمّا رأت ذلك قريش، اجتمع أشرافهم ومشوا إلى أبي طالب، وقالوا له: إنّ ابن أخيك قد سبّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسفّه أحلامنا، وضلّل آباءنا، فإمّا أن تكفّه عنّا، وإمّا أن تخلّي بيننا وبينه، فإنّك على مثل ما نحن عليه من خلافه.

عظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم له، ولم تطب نفسه بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخذلانه، وبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعلمه ما قالت قريش، وقال له: أبق على نفسك وعليّ، ولا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق، فظنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعمه رأي، وأنه خذله، وضعف عن نصرته، فقال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: «يا عماه، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه؛ ما تركته» (١)

يتضح للمتأمل في استخدام المنهج العقلي في القصص القرآني حرص الرسل عليهم السلام على أن تصل الدعوة إلى الملأ من السادة والأشراف، وذوي النفوذ والسلطان، وأن تحصل لهم النصيحة، ويبلغهم أمر الدين والرسالة، حيث كان الرسل عليهم السلام يبذلون جهدهم في إقناعهم، وهدايتهم، وإزاحتهم عن موقفهم المناهض للرسالة، وكذلك فعل رسول الله صلي الله عليه وسلم، وكذلك على

(١) **محمد الغزالي السقا (ت ١٤١٦هـ) فقه السيرة (١١٧) الناشر: دار القلم – دمشق الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ**

الدعاة أن يسيروا في هذا الطريق ويتبعوا هذا السبيل المستقيم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ الأنعام: ١٥٣

إن استخدام المنهج العقلي في دعوة الملأ الإسلام لأنهم جزء من الأمة التي كلف الرسل عليهم السلام بإيصال الدعوة إليهم، بالإضافة إلى أن لهؤلاء تأثيرًا في عموم الناس في العادة، واستجابة أحدهم لدعوة الله تعالى له أثره في العدد الوفير من جمهور الناس وعامتهم.

ويجب على الدعاة – في مخاطبة الملأ – بالمنهج العقلي، أن يتبعوا منهج الرسل الكرام، وكذلك منهج الرسول الكريم صلى الله عليه وسله الذي أمره ربه بقوله ٱ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ الأنعام: ٩٠

١-*الرفق في دعوة الملأ*: يلاحظ من قصص الأنبياء في دعوة الملأ، أن الأصل في الحركة الدعوية للرسل عليهم السلام هو الرفق واللين، بعيدًا عن الغلظة والشدة، والانتقام للنفس، وهذا ما يظهر لدى التأمل في خطاب نوح عليه السلام﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ مِّنْ الأعراف: ٥٩

وهود عليه السلام ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ ﴾ الشعراء: ١٢٣ –١٣٥

وكذلك خطاب موسى لفرعون قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ النازعات: ١٥ -١٩

وكذلك الخطاب لخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٩

٢-*المحاورة والمناظرة ورد الشبهات*: من منهج الرسل عليهم السلام مناظرة المنكرين للرسالات، المكذبين للدعوات، ومحاورتهم، ومواجهتهم بالحجة والبرهان. كما أنهم عليهم السلام يتجهون إلى إبراز حقائق الدعوة، والرد على الشبهات بحسب ما تقتضيه الأحوال.

وذلك يظهر في محاجة نوح وهود عليهما السلام لقومهما، ومحاجة إبراهيم عليه السلام للنمرود، ومحاجة موسى عليه السلام لفرعون، وكذلك من دعوة رسولنا صلى الله عليه وسلم للملأ.

وبعد: فإن نجاح الدعوة والداعية في الوصول إلي عقول وقلوب المدعوين ، يتوقف علي الاستخدام الصحيح للمناهج الدعوية وعلى وجه الخصوص المنهج العقلي الذي ظهرت ثماره ونتائجه في تاريخ الدعوة إلى الله تعالي حين استخدمه الأنبياء والرسل الكرام في مخاطبة أقوامهم على مدار التاريخ الإنساني ، وهو ما جاء واضحا جليا في كتاب الله تعالي ، وكما علمنا خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم ،

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين.

الخاتمة

وتتضمن الخاتمة: أهم النتائج والتوصيات

أهم النتائج:

بعد الانتهاء من البحث عن منهج الدعوة إلي الله تعالى في خطاب المدعوين بالمنهج العقلي تم التوصل إلى عدد من النتائج الأتية:

اولا: أن المنهج العقلي واحد من أهم المناهج المستخدمة في خطاب أنواع شتي من أصناف المدعوين وله أثار إيجابية كبيرة في الإقناع بالرسالة الدعوية وما اشتملت علية من عقيدة وشريعة وأخلاق.

ثانيا: إن المنهج العقلي المستخدم الدعوة يختلف اختلافا كبيرا عن المنهج العقلي عند الفلاسفة والمناطقة لأن المنهج العقلي المستخدم في الدعوة يستند في أدلته الأصلية على القرآن الكريم

والسنة النبوية المطهرة، وهي ميسورة الفهم خالية من التعقيد والغموض بخلاف دلائل المنطق والفلسفة.

ثالثا: إن استخدام المنهج العقلي في خطاب المدعوين ومناداتهم بترك التقليد الأعمى للآباء والأجداد، والنظر والتفكر في ملكوت السماوات والأرض تكون نتيجته العودة إلي أصل الفطرة السليمة والإذعان للدين القيم وهو الإسلام.

رابعا: استخدام المنهج الدعوي العقلي في خطاب المدعوين ضرورة حتمية في العصر الحديث الذي ماجت فيه وراجت وتشعبت وتنوعت الأيديولوجيات وهي "النسق الكلي للأفكار والمعتقدات والاتجاهات العامة الكامنة في أنماط سلوكية معينة." فيظهر بجلاء عظمة قيم ومبادئ الإسلام ن وتهافت وطلال الأيديولوجيات المعادية للإسلام.

أهم التوصيات:

أولا: ارشاد الدعاة إلي الله وحثهم على أن يكونوا على دراية وعلم تام بمناهج الدعوة وطرق استخدامها وتطبيقها في الواقع العملي.

ثانيا: ضرورة إعداد المؤلفات العلمية المتخصصة في موضوع المناهج الدعوية ونشرها في كتب مستقلة.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

أ –القران الكريم.

ب –السنة النبوية.

ثانيا :

المراجع

١. ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ). *المخصص* . المحرر خليل إبراهيم. الأولى. بيروت : دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

٢. ابن فارس أبو الحسين أحمد. معجم *مقاييس اللغة*. المحرر عبدالسلام محمد هارون. دار الفكر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

٣. أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ). *النكت والعيون* . المحرر السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم. بيروت / لبنان: دار الكتب العلمية، بلا تاريخ.

٤. أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١ هـ). *صحيح مسلم*. المحرر محمد فؤاد عبد الباقي. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.

٥. أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت ١٢٢٤هـ). *البحر المديد في تفسير القرآن المجيد*. المحرر أحمد عبد الله القرشي رسلان. القاهرة : الدكتور حسن عباس زكي، ١٤١٩ هـ.

٦. أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ). *المفردات في غريب القرآن*. المحرر صفوان عدنان الداودي. الأولى . دمشق بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٢ هـ.

٧. أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ). *الزمخشري جار الله*. الثالثة. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ.

٨. أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ). *تفسير القرآن*. المحرر ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. الأولى. الرياض - السعودية: دار الوطن، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٩. أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى : ٣٢١هـ). *أحكام القرآن الكريم*. المحرر الدكتور سعد الدين أونال. الأولى. استانبول : مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي، ١٤١٦ هـ.

١٠. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ). *العين*. المحرر د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي. دار ومكتبة الهلال، بلا تاريخ.

١١. أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي. *صحيح البخاري*. ببولاق مصر: بالمطبعة الكبرى الأميرية، ١٣١١ هـ.

١٢. أبو علي الحسن بن شهاب بن الحسن بن علي بن شهاب العكبريّ الحنبلي. *رسالة في أصول الفقه*. المحرر د. موفق بن عبد الله بن عبد القادر. الأولى. مكة المكرمة: المكتبة المكية، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

١٣. أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ). *الاستيعاب في معرفة الأصحاب* . المحرر علي محمد البجاوي. الأولى. بيروت : دار الجيل، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

١٤. أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠هـ). *معالم التنزيل في تفسير القرآن*. المحرر محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش. الرابعة. دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

١٥. الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. *مجلة البحوث الإسلامية*. السعودية ، ١٤٣٣هـ.

١٦. جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ). *ذم الهوى*. المحرر خالد عبد اللطيف السبع العلمي. الأولي . بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.

١٧. حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى: ١٣٧٧هـ). *معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول* . المحرر عمر بن محمود أبو عمر. الأولى،. الدمام : دار ابن القيم ، ١٤١٠ هـ -١٩٩٠ م.

١٨. رشدي فكار. *لمحات عن منهجية الحوار والتحدي الإعجازي للإسلام في هذا العصر*. الأولي . القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م.

١٩. رؤوف شلبي. *الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها* . بلا تاريخ.

٢٠. زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (٧٣٦ – ٧٩٥ هـ) (ص ١٠٢). *فضل علم السلف على علم الخلف* . المحرر أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني. الأولى. الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.

٢١. زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ). *مختار الصحاح*. المحرر يوسف الشيخ محمد. الخامسة. بيروت – صيدا: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٢٢. شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ). *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. المحرر علي عبد الباري عطية. الأولى. بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ.

٢٣. عبد الرحمن بن أبي بكر بن داود الحنبلي الدمشقي الصالحي (ت ٨٥٦ هـ). *الكنز الأكبر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر*. المحرر د. مصطفى عثمان صميدة. الأولى. بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م.

٢٤. عبد العزيز بن محمد بن سعود الكبير. *منهج الصحابة في دعوة المشركين من غير أهل الكتاب*. الأولى. بيروت: دار الرسالة العالمية، ١٤٤٢ هـ – ٢٠٢١ م.

٢٥. عبد الكريم زيدان. *أصول الدعوة*. التاسعة. بيروت –لبنان: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ–٢٠٠١ م.

٢٦. عبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد ١٣٩٠ هـ). *التفسير القرآني للقرآن*. القاهرة: دار الفكر العربي، بلا تاريخ.

٢٧. عبد الله بن سليمان الغفيلي. *ابن رجب الحنبلي وأثره في توضيح عقيدة السلف*. الأولي. الرياض – المملكة العربية السعودية: دار المسير، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م.

٢٨. عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣هـ). *السيرة النبوية* . المحرر مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي. الثانية. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م.

٢٩. عبد المنعم حفني. *المعجم الفلسفي*. المجلد الثالثة. مكتبة مدبولي، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٣٠. عثمان علي حسن. *منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد*. الأولى . الرياض: دار اشبيليا للطبع والنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ.

٣١. عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي. *نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم*. الرابعة . جدة : دار الوسيلة للنشر والتوزيع، بلا تاريخ.

٣٢. علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ). *لباب التأويل في معاني التنزيل*. الأولى. بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ.

٣٣. علي بن محمد الآمدي. *الإحكام في أصول الأحكام*. المحرر عبد الرزاق عفيفي. الثانية. دمشق – بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٢ هـ.

٣٤. علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني. *التعريفات*. الأولى . بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٣٥. علي محفوظ. *هداية المرشدين*. بلا تاريخ.

٣٦. غازي حسين عناية. *منهاج البحث العلمي في الإسلام*. بيروت – لبنان: دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٠م.

٣٧. مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر. *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*. الأولى. الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) – (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م).

٣٨. محمد أبو الفتح البيانوني. *المدخل إلي علم الدعوة*. الثالثة . بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزع، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.

٣٩. محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ). *التحرير والتنوير :تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد*. الدار التونسية، ١٩٨٤ هـ.

٤٠. محمد الغزالي السقا (ت ١٤١٦هـ). *فقه السيرة*. الأولى. دمشق : دار القلم، ١٤٢٧ هـ.

٤١. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ). *صفات المنافقين*. الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، ١٤١٠ هـ.

٤٢. ـــــ. *الأمثال في القرآن*. الأولى . مصر- طنطا: مكتبة الصحابة، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٤٣. محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ). *تهذيب اللغة* . المحرر محمد عوض مرعب. الأولى. بيروت : دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م.

٤٤. محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ). *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. المحرر الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي. الأولى. دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٤٥. ـــــ. *تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. المحرر الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي. الأولى. دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٤٦. محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي. *تاج العروس من جواهر القاموس*. الثانية . الكويت، ١٤٠٧ هـ -١٩٨٧ م.

٤٧. محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ). *تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)*. المحرر د. مجدي باسلوم. الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٤٨. محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ). *لسان العرب*. الثالثة . بيروت: دار صادر، ١٤١٤ هـ.

٤٩. محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢هـ). *محاسن التأويل*. المحرر محمد باسل عيون السود. الأولى . بيروت : دار الكتب العلميه، ١٤١٨هـ.

٥٠. منير محمد الغضبان (ت ١٤٣٥هـ). *فقه السيرة النبوية*. الثانية. جامعة أم القرى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢ م.

فهرس الموضوعات

المحتويات

(ملخص البحث) ١٨٩
(Research Summary) ١٩٠
(المقدمة) ١٩١
التمهيد ١٩٥
المبحث الأول: المنهج العقلي ٢٠٢
المطلب الأول: تعريف العقل في اللغة والاصطلاح ٢٠٣
المطلب الثاني: مفهوم العقل في القرآن الكريم ٢٠٥
المطلب الثالث : مفهوم العقل في السنة البوية : ٢٠٥
المطلب الرابع : مفهوم العقل عند بعض علماء المسلمين : ٢٠٦
المطلب الخامس : تعريف المنهج العقلي للدَّعوة إلى الله تعالي ٢٠٧
المطلب السادس : أهم أساليب المنهج العقلي : ٢٠٨
المبحث الثاني ٢٣٧
استخدام المنهج العقلي في خطاب أهم أصناف المدعوين ٢٣٧
المطلب الأول : خطاب المشركين : ٢٣٨
المطلب الثاني : خطاب أهل الكتاب : ٢٥٢
المطلب الثالث : خطاب المنافقين ٢٥٥
المطلب الرابع : خطاب الملأ : ٢٦٢
الخاتمة ٢٧١
قائمة المصادر والمراجع ٢٧٢
المراجع ٢٧٢
فهرس الموضوعات ٢٧٩